كوكب الحج

في سفر المحمل بحرًا «وسيره برًّا»

تأليف
محمَّد بك صادق مير أركان حرب سابق
(وهو ذيل لمشعل المحمل في سفر الحج برًّا)
(للمؤلف أيضًا)

obeikandl.com

obeikandl.com

(بسم الله الرَّحمن الرحيم)

مقدِّمة المؤلف

حمدًا لك يا من هديتنا إلى طريق الرشاد ووفقتنا للسعي في مصالح العباد ويسرت لنا مشاهدة طبائع وعوائد بعض البلاد والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد الذي هاجر من مكَّة إلى المدينة وعلى آله وأصحابه ومن اتبع دينه.

(أما بعد) فيقول المعتمد على ربه الخالق مير أركان حرب[١] في السَّابق محمَّد بك صادق هذه جريدة يوميَّة تكلمت فيها على سير المحمل من يوم خروجه من مصر المحميَّة عام ١٣٠٢ هجريَّة (١٨٨٤م) إلى عودته إليها عام ١٣٠٣ هجريَّة (١٨٨٥م) والذي دعاني إلى ذلك أني كنت في هذه المرة متلقدًا بوظيفة أمين الصرة[٢] فأحببت أن يكون هذا التَّأليف ملحقًا برسالتي المسمَّاة بمشعل المحمل[٣] لتتم الفائدة بذكر سيره بحرًا وتتكمل وأرجو ممن يطلع عليه مسامحتي فيما يرى فيه من سهو أو غلط وأن يتذكر قول من قال: من ذا الذي ما ساء قط خصوصًا وأني لم أذكر إلا ما شاهدته أو ممن أعتقد صدقه سمعته فإن الكلام البسيط عادتي والاجتهاد في قول الحق من غير مبالغة سجيتي وها أنا أشرع في المقصود معتمدًا على واجب الوجود فأقول متبرأ من القوة والحول.

---

(١) مير أركان حرب: مركب من «مير» مختصر أمير، «أركان حرب» رتبة عسكرية.

(٢) أمين الصرة: القائم على المحمل لتوصيله إلى البيت الحرام.

(٣) مشعل المحمل: المؤلف السابق ذكره.

obeikandl.com

وصف صرة المحمل

في يوم الثُّلاثاء الموافق ٢١ القعدة من شهور عام ١٣٠٢هـ (٣ سبتمبر ١٨٨٤م) صار تسليم واستلام المحاملي[١] لكسوة الكعبة الشَّريفة من يد ناظر تشغيلها بمسجد سيِّدنا الحسين رضي الله عنه بحضور كل من سعادة علي باشا وهبي أمير الحجا[٢] وحضوري بما أني أمين الصرة ومن حضرة نائب القاضي وبعض المتوظفين وهي عبارة عن ثمانية قطع من الحرير الأسود كل منها على طول الكعبة وكل قطعتين بعرض جهة من جهاتها وعلى ستارة الكعبة وستارة باب التوبة من داخلها وستر مقام سيِّدنا إبراهيم الخليل عليه السَّلام وستارة باب هذا المقام والمصاريف التي تصرف كل عام على الأقمشة والمخيشات والأجر المرتبة لأرباب التشغيلات تساوي جنيه عدد ٤٥٠٠ وهذا غير أثمان الشيلان والكساوي[٣] والحلويات المرتبة للعربان التي قدرها من الجنيه مائتان.

ماليَّة المحمل

وفي يوم الأربعاء ٢٢ منه استلم صراف الصرة المبلغ المقنن للحج من الماليَّة بحضور الأمير والأمين ونائب الشرع[٤] وغيرهم وقدره ١١٧٠٠٠٠ قرش بيانه

(١) المحاملي: من في عهدته المحمل والكسوة.

(٢) أمير الحاج: الرئيس الأعلى لبعثة الحج ويتم تعيينه من قبل الخديوي.

(٣) الكساوي: الملابس.

(٤) نائب الشرع: المفوض من القضاء الشرعي للشهادة على تسليم مالية المحمل والتوقيع بذلك.

جنيه أفرنكي عدد ٦٧١٠ ريال بطاقة[١] عدد ٣٠٠٠٠ فضة عدد ٥٧٧٥ من ذلك جنيه عدد ٤٤٧٨ لزوم ماهيات ومصروفات المحمل خلاف تعيينات[٢] العساكر ومبلغ باره ٣١ و١٦٠٩١١ قرش مرتب تكيَّة مكَّة باره[٣] ٣١ و١٦٥٦٧٠ قرش مرتب تكيَّة المدينة والباقي مرتبات عربان ومجاورين[٤] بالحرمين ثم مبلغ ٦٥٢٣٠٠ قرش أمانات من الأوقاف ومن الروزنامجة[٥] وبعض من الدوابر[٦] لزوم مرتبات أهالي الحرمين وأشخاص مقيمين بالحجاز وأما التعيينات والمرتبات المختصة بتوابع الصرة فمبينة بالجدول الآتي وإن تعيين النفر الواحد بالسَّفريَّة يومي[٧].

بقسمات[٨] أرز عدس مسلي[٩]

درهم	درهم	درهم	درهم
٢٠٠	٥٠	٥٠	١٠

(١) ريال بطاقة: الكلمة مقتبسة من «ريال» الأسبانية بمعنى «الملكي» والمقصود هنا الريال النمساوي، الذي كان يسمى في مصر باسم الريال «أبو طاقة» نسبة للنافذة أي: «الطاقة» المرسومة على صدر النمر المرسوم على أحد وجهيه.

(٢) تعيينات: مخصصات.

(٣) بارة: وحدة العملة التركية وكانت تساوي ١: ٤٠ القرش صاغ، وكانت في ذلك الوقت تضرب في كل من استنابول ومصر، ويرادف اسم البارة في مصر اسم «الفضة» نسبة للفضة التي كانت تصنع منها وهي في المعاملات اليومية في مصر تُعرف بقطعة «الأربعين فضة».

(٤) مجاورين: الفقراء الذين يلزمون الحرم، ويعيشون على الصدقات.

(٥) الروزنامجة: المالية.

(٦) الدوابر: المؤسسات أو الهيئات الحكومية.

(٧) تعيين النفر الواحد بالسفرية يومي، يقصد المقدر للفرد الواحد يوميًّا.

(٨) بقسمات: أو بقسماط بمعنى خبز يابس.

(٩) مسلي: دهن أو سمن.

obeikandi.com

تَنبيه

قد وضعت حرف (س) علامة للساعات وحرف (ق) للدقائق.

obeikandl.com

موكب المحمل

وفي يوم الخميس ٢٣ منه وكب المحمل[١] في السَّاعة الثَّالثة من ميدان محمَّد علي بحضور الجناب الخديوي أفندينا محمَّد توفيق باشا بلغه الله ماشا[٢] وحضور جماعة من الذوات الكرام والعلماء الأعلام وأتباعه الفخام فأتى المحمل إلى المحل المتشرف بحلول جنابه مع بعض أكابر دولته فوقف دولة الخديوي على السلم وخلفه الحاضرون واستلم بيده الكريمة زمام المحمل وسلمه ليد سعادة أمير الحاج والجماعة ينظرون فضربت المدافع عند ذلك إجلالًا وسرورًا وابتهاجًا زاد به الموكب نورًا وفي نصف السَّاعة الرَّابعة سار الموكب[٣] في غاية الانتظام مبتدأ بعساكر البيادة[٤] مع موسيقاها ومن بعدهم الباشبوزوق ثم الطبجيَّة[٥] المعتادة يليهم أرباب الأشاير[٦] وعساكر البوليس الخيالة ثم العساكر الأخر ومن ورائهم أمين الصرة وتوابعها ثم الضباط المعينون للموكب ثم أمير الحاج وأتباعه ثم المحمل وما يليه من شيخ الجمل[٧] والبيرق[١] وشيخ القطط والفرايحيَّة[٢] أي: الطبالة فسار في جم غفير

---

(١) المحمل: أطلق هذا الاسم قديمًا على الجمل الذي يحمل الهدايا الموسمية إلى الكعبة، وقد سير النبي، صلى الله عليه وسلم محملًا إلى مكة بهداياه إلى البيت المعظم، وقد اشتهر المحمل العراقي واليمني وغيرهما، ولم تكن إلا جمالًا تحمل صرتها إلى الحرمين مغطاة بقطعة من الجوخ.

(٢) بلغة الله ماشا: دعاء يقصد به أبلغه الله مرامه.

(٣) الموكب: جماعة ركبانًا أو مشاة.

(٤) عساكر البيادة: عساكر المشاة.

(٥) الطبجية: أو الطوبجية (المدفعية) نسبة إلى (طوب) بمعنى مدفع في التركية (وجي) علامة النسبة عندهم.

(٦) أرباب الأشاير: التشريفة من حاملي الأعلام.

(٧) شيخ الجمل: قائد الجمال.

من العالم حتى وصل إلى باب النصر نصف السَّاعة السَّادسة ثم إلى العبَّاسيَّة بعد تمام السَّاعة السَّادسة بربع ساعة أمام مدرسة الطوبجيَّة وكان قد أعد له هناك ٤٦ عربة من عربات سكة الحديد مع وابورين لجرها فبعد شحنها بالمحمل وما يتبعه من أرباب الوظائف والخدامات وبالمهمات والتعيينات سار الرَّكب تمام السَّاعة السَّابعة، ووصل إلى السُّويس نصف السَّاعة الخامسة من اللَّيل فحضر سعادة المحافظ وبقي المحمل على حاله على الرصيف إلى الصباح.

انطلاق المحمل إلى جدَّة

وفي يوم الجمعة تمام السَّاعة الثَّانية مر موكبه في شوارع البلد مع ازدحام الأهالي عليه غاية الازدحام مع دعائهم للحضرة الخديويَّة ببلوغ كل مرام ولم يزل كذلك حتى عاد ثانيًا إلى الرصيف تمام السَّاعة الثَّالثة فنقل إلى الوابور مع أمرائه وأتباعه إلى أن وصل إلى الهاويس[٣] فحمل إلى وابور شبين المعد لحمله إلى جدَّة وكان بالوابور سعادة مصطفى باشا الخازندار وسعادة عبد الله باشا فكري وكثير من الحجَّاج الأغراب قد أخذوا تذاكر من القومبانيَّة[٤] وكان تبعة المحمل ٣٧٠ شخصًا منهم عساكر عدد ٢٢٠ وأتباع الصرة عدد ٨٠ وطوبجية عدد ٢٠ وأتباع أمير الحاج عدد ٥٠ ونحو مائة من الفقراء ولم يمكن حمل زيادة عليهم لكثرة الأغراب الحجَّاج، وكان عدد خيول الجندرمه[٥] خمسة وثلاثين وبغال[١] المدافع سبعة وجمال المحمل

(١) البيرق: العلم.

(٢) الفرايحية: الموسيقيون، وهم الزمارة والطبالة.

(٣) الهاويس: قنطرة على النيل، أو أحد فروعه للتحكم في جريان الماء.

(٤) القومبانية: الشركة المختصة بتسيير السفن الشراعية، والأصل إنجليزية Company.

(٥) الجندرمة: الحرس.

ثلاثة غير الذخائر والمهمات ومدفعين شششخانة جبلي وأربعين صندوقًا فيها «خرطوش وفشنك ودانات وصلقوم[٢]» وقد ازدحم الوابور وتعسر على ركابه من جهة إلى أخرى فيه المرور بحيث لا يتأتى لراكبه قضاء بعض الحاجات إلا بأكبر المشقات فصار كأنه مركب معاش وذلك من إعطاء التذاكر للحجاج الأغراب مع أنه معد لمشال المحمل والفقراء ومن العجب أنهم يضعون الفقراء في مقدم الوابور مكابدين لحر الشَّمس نهارًا وللبرد مع الرياح ليلًا زيادة على ما ينالهم من أهوال البحر والأمواج وما يقاسون فيه من الخوف والانزعاج وقد أخبرني وكيل البوسطة[٣] الخديويَّة بالسُّويس أن عدد الحجَّاج المسافرين في الوابورات[٤] من السُّويس إلى جدَّة بلغ نحو اثني عشر ألفًا من المصريِّين وثمانية آلاف من الأتراك فضلًا عمن مرَّ من قنال السُّويس من مغاربة وأتراك وشوام ممن عددهم نحو عشرين ألفًا ومع كثرة الحجَّاج جدًّا تنازلت أجرة الوابورات البحريَّة السائرة من السُّويس إلى جدَّة فلا يؤخذ على الشخص الواحد إلا سبعة فرانق[٥] بدلًا عن الأربعين وحصل ذلك في وابورات روباتينو[٦] وغيرها وهذا ما لم يسمع بمثله قط وقد أخذوا في العودة على الشخص الواحد ثلاثة جنيهات فويل لهم مما كسبت أيديهم والمسافة من السُّويس إلى جدَّة ٦٤٦ ميلًا فإذا كان سير الوابور في السَّاعة ثمانية أميال ونصف ميل فيلزم من السُّويس إلى جدَّة ٧٢ س.

---

(١) بغال: جمع بغل، وهو ما ينتج عن معاشرة حصان وأنثى الحمار، ويكون جسمه قوي ويستعمل في حمل الأثقال.

(٢) خرطوش وفشنك ودانات وصلقوم: ذخائر ومستلزمات حربية.

(٣) وكيل البوسطة: القائم على البريد.

(٤) الوابورات: البواخر.

(٥) فرانق: فرانك Franc وهي العملة التي كانت تُحصل لصالح شركة النقل البحري.

(٦) وابورات روباتينو: شركة للنقل البحري مسماة باسم صاحبها.

وفي نهاية السَّاعة السَّادسة من يوم السَّبت ١٢ ذي القعدة سار الوابور متوكلًا على الرب الغفور متوجهًا إلى جدَّة، وفي يوم الأحد بلغت الحرارة ٣٥ درجة سنتجراد حتى تصبب العرق على الأجساد.

وفي يوم الاثنين انخفضت إلى ٣٢ درجة سنتجراد[١] والله رءوف بالعباد وكان الوابور يقطع في السَّاعة من ثمانية أميال ونصف إلى تسعة.

الإحرام ونيَّة الحج

وفي نهاية السَّاعة الأولى من ليلة الثُّلاثاء حاذى الوابور رابغ[٢] فأحرم الحجَّاج جميعًا وأحرمت أنا ناويًا الحج[٣] والعمرة[٤] معًا وكيفيَّة الإحرام[٥] أن يغتسل أو يتوضأ المحرم ثم يلبس ثياب الإحرام ثم يصلي ركعتين ينوي بهما سُنة الإحرام يقرأ في الأولى الفاتحة والكافرون وفي الثَّانية الفاتحة وقل هو الله أحد، ويكون ذلك في البحر عندما يحاذي الحاج رابغ فبعد سلامه من الركعتين ينوي الحج والعمرة إن كان قارنًا أي: قرن العمرة بالحج وإن أراد الإفراد نوى الحج فقط وإن أراد التمتع نوى العمرة فقط ففي الأولى يقول: اللَّهمَّ إني نويت الحج والعمرة وأحرمت بهما فيسرهما لي وتقبلهما مني لبيك اللَّهمَّ لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك

(١) سنتجراد: درجة مئوية. وأصلها إنجليزي Centigrade وتستخدم في قياس الترمومتر المئوي.

(٢) رابغ: ميقات الإحرام للقادم من مصر وهي بلدة كائنة على الشاطئ الشرقي من البحر الأحمر وبينها وبين جدة نحو ست ساعات يسير الباخرة.

(٣) الحج: الركن الخامس من أركان الإسلام.

(٤) العمرة: ويصح الجمع بين العمرة والحج بنية واحدة.

(٥) الإحرام: العبرة من الإحرام المساواة في التجرد عن زخارف في الدنيا ولباس الإحرام رمز إلى الزهد في الدنيا.

obeikandl.com

والملك لا شريك لك ثلاث مرات، ثم يصلي على النَّبي كما ذكرته في كتابي مشعل المحمل، وعند دخوله مكَّة يطوف طواف العمرة سبعة أشواط ويسعى لها سبعة أشواط، ثم يعود إلى الكعبة فيطوف بها طواف القدوم سبعة أشواط ويسعى إن شاء سبع مرات وإلا أخر السعي بعد طواف الإفاضة ثم يتوجه إلى عرفة ومتى نزل مني رمي جمرة العقبة ثم عاد إلى مخيمه فيذبح هدي التمتع أو القران دم شكر ثم يحلق أو يقصر فيحل له كل شيء إلا النساء ثم يعود في هذا اليوم إلى مكَّة فيطوف طواف الإفاضة ولا يسعى إن كان سعي بعد طواف القدوم وحينئذٍ تحل له النساء ثم يعود إلى منى فيرمي الجمرات في كل من ثاني وثالث يوم العيد وإن بات ليلته بمكَّة جاز له ذلك والأفضل المبيت بمنى ثم إن لم يكن من أهل مكَّة ولا ناويًا الإقامة بها رجع إليها في آخر اليوم الثَّالث فطاف طواف الوداع بدون أن يسعى وعند ذلك تم الحج فإن أقام بها طاف متى شاء من غير سعي وجاز له الاغتسال أي وقت وحك الجسم والرأس بالأظافر ونحو ذلك وإن أراد الإفراد نوى الحج فقط وقال: اللَّهمَّ إني نويت الحج وأحرمت به فيسره لي وتقبله مني لبيك اللَّهمَّ لبيك إلخ، ويدخل مكَّة فيطوف طواف القدوم ويفعل جميع ما تقدم من أفعال الحج إلا أنه لا يجب عليه في هذه الصُّورة ذبح، وإن أراد العمرة فليخرج إلى الحل بعد أيام النحر فيحرم بالعمرة ويأت البيت فيطوف ويسعى ويحلق، وإن نوى الإقامة بمكَّة خمسة عشر يوما فأكثر لم يطلب منه إلا ذبح الأضحية، وإن أراد التمتع نوى العمرة وقال: اللَّهمَّ إني نويت العمرة وأحرمت بها إلخ ثم يأتي مكَّة فيطوف طواف العمرة ويسعى ثم يحلق فيحل من إحرامه ويقيم بمكَّة غير محرم كأهلها ثم إذا كان ثامن ذي الحجَّة أحرم بالحج وهو بمكَّة وطاف وسعى وخرج إلى عرفة ففعل جميع ما تقدم كالقارن أعني: أنه يجب عليه دم التمتع وهو دم شكر إما شاة أو سبع بدنة ويذبح الأضحية إن كان مقيمًا ولا مانع من تأخير دم الشكر إلى ثالث أيام النحر.

والمحرم لا يلبس مخيطًا من قميص أو قباء[١] أو سراويل ولا عمامة وإن ائتزر أو ارتدى بشيء منها جاز ولا يلبس خفًّا[٢] إلا إذا كان مقطوعًا من أسفل الكعبين والكعب هو المفصل أي: العظم المرتفع في وسط القدم من الأعلى عند معقد الشراك وبذا يمكن ستر الأصابع كلها وعند المالكيَّة[٣] يستر نصف الأصابع وإذا طيب المحرم عضوًا أو لبس المخيط أو غطى رأسه يومًا أو حلق ربع رأسه أو موضع المحاجم أو الإبطين أو أحدهما أو العانة أو الرقبة أو قص أظافر يديه أو رجليه أو واحدة منها أو طاف للقدوم أو للوداع جنبًا أو للزيارة محدثًا أو أفاض من عرفة قبل الإمام أو ترك من طواف الزِّيارة ثلاثة أشواط فما دونها أو طواف الصدر أو أربعة أشواط منه أو جمرة العقبة يوم النحر فعليه شاة وأما إذا طيب أقل من عضو أو غطى رأسه أو لبس أقل من يوم أو حلق أقل من ربع رأسه أو قص دون خمسة أظافر أو خمسة متفرقة أو ترك طواف الصدر تصدق بنصف صاع من البر[٤] فإن اضطر المحرم إلى لبس المخيط لعذر يقصد الاستمرار إلى آخر مدة الإحرام ليكفيه فداء واحد انتهى، وخفف سير الوابور إلى خمسة أميال في السَّاعة لتعذر الدخول إلى مينا جدَّة[٥] ليلًا.

الاحتفال بوصول المحمل إلى جدَّة

وفي صباح يوم الثُّلاثاء ٢٨ ذي القعدة لم تمكن مشاهدة الجبال من بعد خمسة

(١) قباء: نوع من الثياب (انظر اللسان والقاموس).
(٢) خفًّا: نعلًا.
(٣) المالكية: الذين يتبعون مذهب مالك بن أنس أحد الأئمة الأربعة.
(٤) البر: القمح.
(٥) مينا جدة: وهي الميناء التي ترسو عليها سفن الحجاج.

أميال لتراكم الضباب مع أنها تشاهد في الصحو من بعد مائة ميل ووصلت الحرارة قبيل الشروق ٣١ سنتجراد وفي نصف السَّاعة السَّادسة من هذا اليوم رسا الوابور أمام بوغاز[١] جدَّة فضربت الموسيقى والطبول والمدافع فرحًا بالوصول ونقل ما في الوابور إلى البر في القطاير لعدم اسكلة[٢] هنالك فيقف بعيدًا عن البر بميلين أعني: ربع ساعة وأقبل اللَّيل والحجَّاج مقيمون أمام الكمرك إلى الصباح وفي نصف السَّاعة الرَّابعة من يوم الأربعاء وكب المحمل من أمام ديوان الكمرك في محفل عظيم ودخل من باب البلدة المسمى بباب الكمرك[٣] ولعدم كفاية ارتفاعه لمرور المحمل هدم منه ما لزم هدمه ومرَّ من طريق ببحري[٤] البلد عرضها من خمسة عشر مترًا إلى عشرين والسور عن يساره حتى وصل بعد س ٤ و٥٤ ق إلى المعسكر بعيدًا عن القشلاق[٥] بمسافة يسيرة فنزل أمام صوان[٦] الأمير وحضر الضباط والأعيان في الصوان ليهنوا الأمير ومن معه بالسَّلامة وكان حضرته منحرف المزاج لعدم تعوده على ثياب الإحرام ولانكشاف رأسه فأثر ذلك فيه حتى ألزمه الفراش عدة أيام بعد الإحلال من الإحرام بل استمر به إلى الخروج من المدينة.

وصف مكَّة

والقشلاق مبنى في الجهة البحريَّة مع الشَّرقيَّة مربع الشَّكل طوله ٧٧ مترًا مربعًا

(١) بوغاز: الكلمة تركية بمعنى «الحلق».

(٢) أسلكة: الرصيف البحري المعد لاستقبال السفن البحرية الكبيرة، وهي تركية وتعني الساحل.

(٣) الكمرك: الجمرك.

(٤) طريق ببحري: الجهة البحرية.

(٥) القشلاق: ساحة المعسكر، أو مكان مبيت الجند.

(٦) الصوان: السرادق.

وارتفاعه نحو أربعة أمتار وفيه بيكباشي وبعد الظهر من يوم الجمعة بلغت الحرارة داخل الخيمة ٣٧ سنتجراد والبلد محاط بسور له خمسة أضلاع أحدها وهو القبلي ٨١٠ متر وأما الغربي فهو ٥٧٦ متر والبحري ٦٧٥ متر والشَّرقي ٥٠٤ متر والشَّرقي القبلي ٣١٥ متر وارتفاعه نحو أربعة أمتار والجبانة[١] خارج سور البلد بالقرب من القشلاق محاطة بسور طوله ١٦٠ مترًا مربعًا وفي وسطها ضريح أمنا حواء عليها السَّلام طوله ١٥٠ مترًا وعرضه أربعة أمتار محاط بجدار ارتفاعه متر وعلى كل من طرفيه ووسطه قبة إشارة إلى الرأس والسرة والقدمين ويضعون على قبورهم الصبارة[٢] ومنازل البلد نحو ألفي منزل مبنيَّة بالدبش[٣] المحمول من خارج باب السور من الأرض ومن البحر والمون من طينة البحر فقط لأنهم يبنون بها بعد عجنها جيدًا بيوم فتصير أجود وأمتن وبيوتهم تجارية ليس لها حيشان[٤] ذات دورين[٥] وتارة ثلاثة أدوار بل أربعة وخمسة وسمك جدران الدور الأرضي ثمانون سنتمتر وارتفاعها أربعة أمتار ونصف بها ميد والوجهة عندهم مركبة من رواشن أعني: شبابيك ومشربيات من الخرط في غاية الظرافة[٦] وحسن المنظر مع قلة أثمانها وحاراتها غير منظمة متران فأكثر وشوارعها من عشرة أمتار إلى خمسة عشر وأرضها مستوية غير محجرة وبها مجاري لتصريف مياه الأمطار التي تستمر فيها نحو شهرين أو ثلاثة وفي خارج البلد وفي بيوتها صهاريج[٧] مبنيَّة نحو ثمانمائة تجتمع فيها مياه

---

(١) الجبانة: المدافن.

(٢) الصبارة: نبات الصبار، وهو نبات صحراوي.

(٣) بالدبش: بالحجر.

(٤) الحشيان: جمع حوش، وهو المساحة الفسيحة داخل السور المحاط بالمنزل.

(٥) ذات دورين: ذات طابقين.

(٦) غاية الظرافة: غاية الجمال والإبداع.

(٧) صهاريج: خزانات للمياه، وفي الإنجليزية Tank.

المطر وتغلق إلى وقت الحج للتجارة فيربحون فيها ربحًا جسيمًا وأما أهل البلد فيقتصرون على الشرب من الحفائر[١] المتكونة من اجتماع مياه الأمطار التي تتعطن بطول المكث ولذا يتسلطن فيهم داء الحمى ويقل في أيام الحر وجود ماء بارد في هذا البلد وقد عثر في العام الماضي في مكان يسمَّى بالرغامة بعيد عن البلد بنحو ساعتين ونصف يسير الجمل على عين ماء عذب جار العمل في صنع مجرى يوصل منها الماء إلى البلد وبذا يتحسن حال الصحة وبخارج السور حمام مستجد معد للرجال خاصة وبها جوامع أربعة يخطب فيها سوى بعض زوايا ومحاريبها[٢] منحرفة من الشَّرق إلى الشمال بثلاثين درجة وتجارتها أنواع الحرير والثياب ويحمل إليها القمح والأرز والشعير ونحوها من الهند والبصرة والشام ومصر والقصير ويستولي الكمرك منها سنويًّا على خمسة ملايين من القروش وخضراواتها وفواكهها ولحومها تحمل إليها من وادي فاطمة ومكَّة وضواحيها رخيصة الأثمان وأما البطيخ والقاوون[٣] فيزرعان بماء السيل في البراح الفاصل بينها وبين الجبال البعيدة عنها بنحو الساعتين أو الثلاث وفي هذه البلدة محل للصحة وللكرنتينه[٤] وبها من الحكام مأمور اسلامبولي برتبة قائمقام[٥] ةتحت أوامر سعادة والي الحجاز المقيم بمكَّة وبيكباشي[٦] واحد مأمور الضبطيَّة وبها مجلس للتجارة مكون من التجار الأهالي ومجلس بلدي أعضاؤه من الأهالي أيضًا ومجلس أحكام من القاضي والتجار وضباط الجهاديَّة وبها من

(١) حفائر: جمع حفرة.

(٢) ومحاربيها: جمع محراب.

(٣) القاوون: نوع من الشمام كروي الشكل، وهو يتبع القرعيات.

(٤) الكرنتينة: الحجر الصحي.

(٥) قائمقام: أي قائم مقام الأمير في رئاسة جمع غفير من الجند.

(٦) بيكباشي: رتبة عسكرية وهي مركب من (بيك) بمعنى ألف، وتقرأ الكاف نونًا، ومن (باش) بمعنى رأس، وهو رئيس ألف من الجند.

العساكر نحو ثلاثمائة نفر وتعداد سكانها نحو عشرين ألفًا من أهالي وهنود وحضارمة ومصريين وبعض من الأتراك ومن الأعجام ونحو خمسين من أروباويين وبها يباع الرقيق بلا حرج كمكَّة في وقت الحج في أمكنة يتوجه الشاري إليها يشتري ما يعجبه والثمن من سبعين ريالًا فما فوقها.

عادات الزواج في مكَّة

ومن عادات أهاليها في الزواج ألا يخرج النساء للزفاف بل يتوجه الزوج في السَّاعة الرَّابعة من اللَّيل مع بعض أصدقائه إلى المسجد ثم يأتي إلى بيت عرسه فيشاهدها ويتحفها بالهدايا [١] في مقابلة كشف الوجه ثم يرجع إلى منزله وتتبعه النساء من أقارب زوجته إلى بيته في خفية فينتظرنها إلى أن تأتي في السَّاعة السَّادسة من اللَّيل في الخفية مع بعض محارمها أمامها مشعل فتدخل منزل بعلها [٢] وفي اللَّيلة الثَّانية يدعو الزوج أصدقاءه للوليمة وعندهم من أنواع المطربات آلات الطرب المعروفة للرجال فقط والمغنيات للنساء فقط ويشرب في بعض مجالسهم المسكرات [٣] ويتغنون على آلة صغيرة شبيهة بالعود ويسمونها القبوس يرقص عليها شبانهم وشيوخهم وأغلب النساء بها، وبمكَّة يتعاطون التنباك[٤] كما وأنهن يأتلفن مع بعض دون الرجال ولا يتبعن الجنائز وأغلب الأهالي فقراء ينتسبون إلى الطَّريقة الميرغانيَّة وباقيهم مع أكثر أهل مكَّة وما حولها ينتسبون إلى الطَّريقة السنوسيَّة وأهل البلد منقسمون خمسة أقسام يتعصب بعض هذه الأقسام أحيانًا على قسم آخر ويتضاربون

(١) ويتحفها بالهدايا: يغدق عليها الهدايا.

(٢) بعلها: زوجها.

(٣) الوصف هنا إلى ما قد يجري في بعض مجالسهم.

(٤) التنباك: نوع من الدخان للنارجيلة.

بالنبابيت.[١]

الطَّريق من جدَّة إلى مكَّة

وفي يوم الخميس صار التنبيه على الشَّريف مهنى المعين من طرف مولانا سعادة شريف مكَّة لإحضار الجمال اللازمة لمشال المحمل [٢] المصري ومن معه من جدَّة إلى مكَّة بأن يحضر نحو أربعمائة جمل بكرة [٣] يوم الجمعة.

وفي يوم الجمعة انتظرنا حضور الجمال فلم يحضر منها إلا البعض بعد الظهر والبعض الباقي حضر بكل مشقة بعد العصر بحيث أن الشَّريف مهنى المذكور صار يرسل العساكر للقبض على جمال العربان بالقوة الجبريَّة فكان أغلبها مهزولًا جدًّا من عدم الوقت وألقت أحمالها أثناء الطَّريق وأتعبت ركابها من كثرة الحط [٤] والتَّحميل ووجدت ثلاثة منها عند التَّحميل واقفة أمام حمل لبعض المستخدمين عاجزة عن حمله فأخبرت بذلك مهنى المذكور ليحضر غيرها فأمر أحد أتباعه بالتوجه معي ليرى ذلك فأبيت وزجرته أمام الأمير والحاضرين بكلام عنيف قائلًا له: ذهاب غيرك معي عدم اعتناء واحترام لمتوظفي الحكومة المصريَّة وما كان ينبغي حضورك لهذه الخدمة الجليلة بهذه الصفة التي يعامل بها أتباعهم فإن ذلك يخل بمقام سعادة الشَّريف الذي وكلك [٥] براحة الرَّكب المصري وسنعرض ذلك على سعادته وولاة الأمر وما لنا بك حاجة فعند ذلك تنازل عن معرضه الأول واعتذر وأراد أن يتوجه

(١) بالنبابيتك بالعصي، والأصل عربي، وتعني فرع نابت من الشجر يكون مستقيمًا.

(٢) لمشال المحمل: لحمل المحمل.

(٣) بكرة: أول نهار اليوم.

(٤) الحط: النزول، أي: الاستناخة.

(٥) وكلك: أنابك.

معي بنفسه فأبيت أن أصحبه وأرسلت معه صاحب الجمل تشريفًا للحكومة الخديويَّة المصريَّة.

استراحات الطَّريق إلى مكَّة

وفي نصف السَّاعة الثَّانية عشر من يوم الجمعة ثاني الحجَّة سار المحمل ومن معه قاصدًا مكَّة المكرَّمة متجهًا إلى الشَّرق في طريق متسع وجميع الأهالي على طرفي هذا الطَّريق خارجين عن البلد للتفرج [١] على سير المحمل، وفي س ١١ و٤٨ ق مررنا بتلال على الجهتين ارتفاعها خمسة أمتار وانتهاؤها بعد مسير خمسة دقائق مع اتساع الوادي من الطَّرفين، وفي س ١ و٢٠ ق من ليلة السَّبت مررنا على اليسار بقهوة تسمَّى برأس القائم أو أول غرزة [٢] هي عبارة عن محطَّة لاستراحة ركاب الحمير من جدَّة إلى مكَّة بكل منها نحو أحد عشر عسكريًّا للمحافظة، وفي س ٢ و٣٣ ق مررنا بالغرزة الثَّانية تسمَّى قوة الرغامة على اليسار والعين الجديدة عن اليمين بمسافة، وفي س ٢ و٤٧ ق مررنا بتلال من الجهتين، وفي س ٣ و٥٣ ق تل عال، وفي س ٤ بتلال خفاف عن اليمين وتلال عن اليسار تقل على بعد قليل فيتسع الطَّريق باستواء مع صلابة رملها فهي صالحة لعمل سكة الحديد، وفي س ٤ و٢٥ ق بقهوة جرادة من اليسار أو الفرعيَّة وفي هذا المكان عسكر وبأرضه زلط، وفي س ٥ و١٥ ق بقهوة الفرقد على اليسار، وفي س ٦ و٢٠ ق بقهوة العبد عن اليسار، وفي س ٦ و٤٠ ق مررنا بطريق ضيق عرضها عشرون مترًا تتسع في الانتهاء، وفي س ١٠ و ٢٣ ق ببحرة عن اليسار وبها بناء ومنها تتجه الطَّريق إلى الشَّرق الشمالي بين جبال قليلة

(١) للتفرج: للمشاهدة.

(٢) غرزة: مكان لتعاطي المشروبات وللراحة وهو أصغر من المقهى.

الارتفاع بأرضها بعض حشايش [١]، وفي س ١١ و١٥ ق بزلط كبير مسافة سبعة دقايق ثم رمل ثم زلط خفيف، وفي س ١٢ و٢٠ ق بزلط ثم حشيش كثير.

وفي س ١ من يوم السَّبت مررنا بنخيل على اليسار وبعد عشرة دقائق نزل المحمل ببلدة الحدة بالحاء والدال المشددة بجانب جامع له مأذنة ببقعة في وسط الوادي محدقة بها الجبال من بعد وفيها سوق للبطيخ والبلح والقاوون الذي يسمَّى عندهم بالخربز ومياه هذا البلد وسط نخيل عذبة باردة لا سيما وقت الظهر وهناك محل في وسط بستان من شجر الكادي [٢] الذكي الرائحة وقد بلغت الحرارة - ٤٢ درجة سنتجراد مع استمرار الهواء تارة حارًّا وأخرى رطبًا وهناك عشرون من العساكر الشاهنيَّة [٣] مخيمون ونحو ألف من الأهالي مقيمون في عشش صغيرة شيخهم الشَّريف مساعد وقوتهم [٤] الذرة والدخن [٥] والسمن وحرفتهم تأجير جمالهم من جدَّة إلى مكَّة وبعضهم أهل زراعة وطريقتهم سنوسيَّة ونساؤهم يسترن وجوههن ببراقع صغيرة سوداء وتلبس الواحدة منهم قميصًا أسود وتأتزر بإزار أسود، وقد أقمنا بهذه المحطَّة بقيَّة اليوم وفي هذه المحطَّة حضر عندي صباحًا شاب محرم سنه نحو ١٧ سنة وأخبرني أنه خرج من مصر مع حاج من الأغراب الذين معنا وأودع عند هذا الحاج أربع جنيهات وأنه فقده في هذه المحطَّة فأرسلت من يأتي به فلم يقع له على أثر لا في الخيام ولا في السوق فتردد إلينا صاحب الوديعة مرارًا باكيًا حزينًا على ماله طول يومه ومن شدة الحر وانكشاف رأسه لأجل الإحرام اختل

(١) حشايش: حشائش.

(٢) شجر الكادي: نوع من جنس السنط.

(٣) الشاهنية: التابعون للشريف، وهي كلمة فارسية.

(٤) قوتهم: طعامهم.

(٥) الدخن: تطلق على عدد من الأنواع النباتية، تابعة للفصيلة النجيلية، واسمه العلمي EgyptianMillet.

عقله، وعند قيام الرَّكب وجدنا الذي عنده الوديعة واعتذر بأنه كان عند النهر لأجل غسل ثيابه ولم يمكني أخذ الوديعة منه وتسليمها لصاحبها لاختلال عقله وما زال مختل العقل حتى خرجنا من مكَّة قاصدين المدينة فرأينا الذي عنده الوديعة قاصدًا المدينة أيضًا وتاركًا صاحبها بمكَّة عاريًا من الثياب ومن العقل فمنعته من السَّفر وقلت له: يجب عليك أن تعيد هذا المصاب إلى والدته بمصر فإنك تسببت في خروجه منها بإغوائك له وأرسلته بكتاب إلى سعادة والى مكَّة ليرسله وصاحب إلى جدَّة ثم منها إلى مصر وقد حصل وسبب ذلك ظنه ضياع ماله من جهة ومن شدة حرارة الشَّمس اختلاله من الجهة الأخرى فإن حرارتها في تلك البقاع مشهورة حتى أن المرحوم إسماعيل باشا راتب لما حل بها قبلنا بشهر حم[1] من شدة الحر فمات بعد دخوله مكَّة بيومين رحمه الله تعالى، وفي س ١١ و٣٠ ق سار الرَّكب متجهًا إلى الشمال الشَّرقي في طريق متسع ذي رمل ثم إلى الشَّرق الجنوبي وعن يمينه تلغراف موصل من جدَّة إلى مكَّة، وفي س ١ و٤٥ ق من اللَّيل مرَّ بقهوة سالم عن اليمين ثم اتجه إلى الشَّرق، وفي س ٢ و٣٥ ق مرَّ بالعلامتين الفاصلتين لأرض الحل من أرض الحرم والمسافة بينهما ٤٥ خطوة، وفي س ٤ و١٥ ق اتسع الطَّريق بين الجبال عند قهوة الشميسي، وفي س ٤ و٣٠ ق ضاقت الجبال من الجانبين، وفي س ٤ و٤٥ ق استراح الرَّكب في ابتداء بوغاز قهوة سالم ولي س ٦ و١٠ ق سار متجهًا إلى الشمال الشَّرقي ثم مال إلى الشمال قليلًا وقربت جبال اليسار، وفي س ٦ و٢٠ ق مرَّ على قهوة المقتلة عن اليمين، وفي س ٧ و٤٥ ق على قهوة البستان عن اليمين وعلى الجانبين تلول والطَّريق متسعة والاتجاه إلى الشَّرق، وفي س ٨ و٣٠ ق مرَّ بالمدرج وهو صعود على سطح محجر.

(١) حم: أصيب بالحمى، وهي أشبه بضربة الشمس.

وصف مكَّة

وفي س ٩ نزل الرَّكب بالبقعة المجاورة للشيخ محمود ومن بعده الجرول[١] ثم باب مكَّة المكرَّمة وحواريها التي من أشهرها حارة الباب وحارة الشبيكة والسوق الصَّغير وأجياد المعروف بجياد وبه التكيَّة المصريَّة والحميديَّة وهي مكان مبني جديدًا لإقامة الحكام الشاهانيَّة وسوق الصفا والمسعى والقشيشيَّة عن اليمين الموصلة إلى المعلاة وبعد القشيشيَّة سوق اللَّيل ثم الغزة وبها منزل سعادة الشَّريف عون الرفيق، ثم سوق المعلاة وعن يسار القشيشيَّة المسعى إلى المروة وبه يسارًا باب السَّلام ويمينًا طريق المدعي ثم الجودريَّة ثم المحناطة ثم سوق المعلاة ومن حارة الباب أيضًا يمر إلى سوق الشاميَّة ومنه إلى المرور.

مقابلة أمير مكَّة

وفي يوم الأحد طفنا وسعينا وصلينا الصبح في أول وقته وبمكَّة عشرة مواقف يستجاب فيها الدعاء أولها عند دخول الحرم ومواجهة الكعبة من باب السَّلام ثم عند نيَّة الطواف ثم عند الملتزم [٢] ثم عند باب الكعبة ثم في الطواف ثم عند مقام إبراهيم الخليل ثم في حجر إسماعيل ثم عند زمزم ثم في الصفا ثم في المروة وخارجها خمسة يوم عرفة وليلة المزدلفة وثلاثة المرمى والله الموفق، وفي وقت الظهر دعاني سعادة أمير مكَّة الشَّريف عون الرفيق باشا إلى منزله فمكثت معه نحو ساعة ووجدته حليمًا متواضعًا يبدو على وجهة سيما الشرف والشهامة وقد قلت فيه:

نعم عون من الإله تجلى لأهالي الحجاز حيث أقاموا

(١) الجرول: المنطقة التي يتجمع فيها الحجاج تمهيدًا للترحيل، كما يسمى أيضًا «البروز».

(٢) الملتزم: المنطقة بين الحجر الأسود وباب الكعبة.

هـــو يمـــن وحـــاتم ثـــم يـــسر ورفيـــق في حبـــه الكـــل هـــاموا

مقابلة شيخ الحرم المكي

وفي يوم الاثنين جرى صرف أجرة الجمال من جدَّة إلى مكَّة للجمل ثلاث ريالات إلا ربعًا وذلك لكثرة الحجَّاج في هذا العام وغلو الأثمان وجرى صرف مرتبات التكيَّة المصريَّة وقابلت سعادة المشير عثمان باشا نوري والي وقمندان عموم ولاية الحجاز وشيخ الحرم المكي وهو مقيم بمكَّة فوجدته من أفضل الكبراء العظام مهيبًا عند الخاص والعام ذا همة عالية وسطوة بادية يخشاه جميع أهل الحجاز مع أخلاقه الحميدة ومآثره العديدة التي منها إنشاؤه مكانًا لديوان متوظفي الحكومة الشاهانيَّة بجوار التكيَّة المصريَّة [١] وجدد حنفيات [٢] للوضوء بأماكن قريبة من الحرم وأحواضًا وصهاريج في الحارات لنفع الأهالي تأتي إليها المياه من قناة عين زبيدة [٣] وها هو مجتهد في إجراء ما يلزم من التنظيمات ونشر المنافع العموميات وقد قلت فيه:

إن والي الحجـــاز عـــثمان نـــوري عمـــه الخـــير بالهنـــاء والـــسرور
زاده الله رفعـــة ثـــم عـــزًا ووقـــاه مـــن العنـــا والـــشرور

---

(١) التكية المصرية: كلمة أعجمية تعريبها «دار العجزة» وهي المكان المخصص لاستقبال المحمل المصري (البعثة المصرية للحج)، وفيه توزع الصدقات والطعام على الفقراء والمساكين، وكانت توزع فيها أيضا المرتبات والهدايا لعائلات كثيرة من الحجازيين والبدو بقصد البر والإحسان.

(٢) حنفيات: جمع حنفية وهي لفظة مصرية وتعني: صنبور المياه.

(٣) عين زبيدة: نسبة إلى زبيدة زوجة الرشيد وأم الأمين وهي التي أمرت بحفر هذه العين وأنفقت عليها مالًا طائلًا.

مقابلة الوالي

وقابلت أيضًا سعادة عمر باشا قومندان عسكر مكَّة وفي صباح هذا اليوم كانت الحرارة ٣٢ سنتجراد وصارت في وقت الظهر ٣٧ سنتجراد واستمر الحر ليلًا ونهارًا وفي يوم الثُّلاثاء كانت الحرارة صباحًا ٣٢ سنتجراد ثم صارت وقت العصر ٣٧ سنتجراد وفيه توجَّهت بعد الظهر إلى الوالي لقضاء بعض شئون متعلقة بالوظيفة فرأيت اثنين من حجاج الأتراك الواردين من طريق المدينة يشكوان من الجمالة [١] فإنهم أتوا بهما مع الواردين من المدينة لأداء الحج ولما وصلوا بها إلى ما بين رابغ ومكَّة انفردوا بهما وضربوهما وسلبوهما وتركوهما عاريين حافيين وشجوا رأس أحدهما فما وصلا إلى مكَّة إلا بعد كل مشقة ولما عرضا حالهما على سعادة الوالي تأسف عليهما ورفق بهما ووعدهما بالنظر في أمرهما بعد النزول من عرفات ولم أعلم بعد ذلك ما تم في أمرهما فإن أغلب حجاج القوافل توجهوا في هذا اليوم إلى عرفات.

الموكب الشامي

وفي يوم الأربعاء ٧ الحجَّة بلغت الحرارة صباحًا ٣١ سنتجراد، وفي س١ و٣٠ ق توجه سعادة شريف مكَّة في موكبه لملاقاة الحاج الشامي وكان قد وصل إلى مكَّة في النصف من ليلة الأربعاء وهذا الموكب عبارة عن عدة من الخيالة والقرابة تتقدم لتوسيع الطَّريق تعقبها جماعة من الهجانة [٢] ثم ٢٤ حصانًا جوادًا يسمونها الجنائب

(١) الجمّالة: قائدو الجمال من عربان الحجاز.

(٢) الهجانة: راكبو الجمال من الحرس.

عليها مراشح من الفضة تقودها السواس [١] ثم أربعة من الجاووشيَّة السواري [٢] عليهم سراويل بيض وعنائر حمر وبأيديهم عصي مركب عليها فضة وفيها جلاجل [٣] من الفضة ثم عربان قرابة حربيَّة نحو ٢٠٠ عليهم قمصان طوال وبأوساطهم مناطق فيها أسلحتهم وعلى رءوسهم قلانس [٤] من الكوفيات [٥] وبأيديهم البيارق يتغنون بمدح الشَّريف هذه عادتهم على الدوام ثم عبيد قرابة نحو خمسين وبعدهم سعادة الشَّريف راكبًا جواده وعليه فرجيَّة مزركشة يتبعه خاصته راكبين خيولهم بيد أحدهم مظلة مقصبة وبيد آخر البيرق[٦] وثمانية من الضباط البكباشيَّة ثم نحو خمسة وعشر من الأشراف ثم عربيَّة الشَّريف يتبعها الهجانة الحربيَّة ثم الطبل والمزمار وبهذا ينتهي الموكب ثم بعد نصف ساعة مرَّ موكب الوالي أيضًا وهو مكون من نحو خمسين سواريًّا أمامهم طبول الدالاتية ثم عربانة سعادة عثمان باشا الوالي وكان على يساره سعادة عمر باشا قومندان العساكر يتبعه ثمانية من السواري أتباعه، وفي س ٣ مرَّ ركب المدينة مكونًا من عدة من الهجانة ومن ركاب الحمير يتغنون بمدح مكَّة وبيت الله وأمامهم أناس يطلقون البارود [٧] تنبيهًا على الموكب ثم بعد برهة رجع موكب الشَّريف من أمام التكيَّة المصريَّة فتوجه إلى منزله ثم عاد الوالي أيضًا بعد برهة وذلك بعد توجههم إلى خيمة أمين الحاج المصري أيضًا وتهنئتهم له بالحضور

(١) السواس: جمع سايس وهو الرجل الذي يعرف فن قيادة الخيل وقائم على تدريبه.
(٢) السواري: الفرسان، وهي كلمة فارسية.
(٣) جلاجل: أجراس.
(٤) قلانس: جمع قلنسوة.وهي العمائم.
(٥) الكوفيات: غطاء الرأس، وتعرف بـ«الغترة» في الجزيرة العربية.
(٦) البيرق: الراية أو العلم.
(٧) يطلقون البارود: يطلقون الطلقات النارية.

وبلغت الحرارة في ظهر هذا اليوم ٣٧ سنتجراد أي: ٢٩ درجة ريومور [١] وبعد أن صلى الإمام ظهر هذا اليوم الذي هو سابع الحجَّة سنة ١٣٠٢ بالحرم المكي صعد المنبر فخطب وكان إنسان آخر بأسفل منه يبلغ وبعد انتهاء الخطبة ألبس خلعة [٢] من طرف الشَّريف وأخرى من الوالي وشالًا من الشَّيخ الشيبي ومن العجائب أن رخام المطاف صار حارًّا جدًّا من شدة حرارة الشَّمس بحيث لا يمكنني أن أضع قدمي عليه ثانيتين مع أن أغلب الحجَّاج كانوا يمشون عليه بغير مبالاة رغبة في تأدية الطواف وعند إقامة الصَّلاة وقفوا عليه حفاة والشَّمس ساطعة على رءوسهم وصلوا بها كأنهم واقفون على أبسطة ومظللون بسقف حتى انتهت الصَّلاة ومن ابتداء الصَّلاة إلى قرب انتهائها كان الازدحام على الحجر الأسود لأجل تقبيله لا يوصف فمن الناس من كان يدفع من حوله بالعنف بل وبالضرب وإن كان حرامًا ومنهم من يصعد على أعناق المزدحمين ليقبله ولا يبالون بما ينالهم من الأذى والمشقة وكانت الأغوات تجتهد في منعهم عند إقامة الصَّلاة فلا يمكنهم لا بالزجر ولا بالضرب وقد كنت إذ ذاك واقفًا بجانب سعادة الوالي لأداء صلاة الظهر واستماع الخطبة في المحل المعد لشيخ المؤذنين فوق بئر زمزم.

انتقال المحمل المصري والشامي إلى منى وعرفات

وفي يوم الخميس السَّاعة واحدة وربع وكب المحمل المصري من محله الخارج عن الشَّيخ محمود ومرَّ من أمام التكيَّة المصريَّة وشوارع مكَّة حتى وصل إلى منى

(١) ريومور: مقياس أو تدريج عددي لقياس درجة الحرارة مثل المقياس المئوي والفهرنهيتيو يختلف عنهما بأن غليان الماء فيه يكون عند نقطة ثمانين درجة رومية، ويكتب أحيانًا رومير نسبة لمخترعه العالم الفرنسي رينيه أنطوان فرشول دي رومير Reaumur.

(٢) خلعة بردة: عباءة.

فنزل في آخرها و س ٣ و٤٥ ق بجوار الخيمة المعدة لحلول سعادة الشَّريف عند نزوله من عرفات وبعد نصف ساعة لحقه المحمل الشامي فنزل بالقرب منه أمام مسجد الخيف ثم بعد ساعة قام المحمل المصري، وفي س ٧ و١٠ ق نزل بعرفات أمام جبل الرحمة وكانت الحرارة ٤٢ سنتجراد وانخفضت في المساء إلى ٣٢.

وفي يوم الجمعة صباحًا كانت الحرارة ٣١ سنتجراد وفي أعلى جبل الرحمة مصلى محرابه منحرف نحو عشرين درجة من الغرب إلى الشمال ومن أراد زيادة أيضًاح تتعلق بعرفات وبمنى فليراجع كتابنا «مشعل المحمل» الذي ألفناه سنة ٩٨ وبعد الزَّوال بساعة من هذا اليوم بلغت الحرارة ٤٢ سنتجراد وقبل الغروب بساعة ونصف منه وكب المحمل المصري ووقف بمحله المعتاد أسفل جبل الرحمة ثم بعد ذلك بربع ساعة أتى المحمل الشامي فوقف عن يمينه وحولهما الأمراء والعساكر ونحو مائة وخمسين ألف إنسان بل أزيد يلبون ويبتهلون ويتضرعون مع البكاء والنحيب حتى غربت الشَّمس فأطلق ساروخ [١] إعلامًا للحاضرين بتمام المناجاة ولويت أعنة الجمال للنزول إلى منى وسار المحمل الشامي عن يسار المصري وهما يتبختران [٢] في موكب عظيم ومحفل جسيم بين طبل وزمر وموسيقى وسواريخ ومدافع وتهليل وتكبير وصلوات وتسليمات على طه البشير النذير حتى وصل إلى المزدلفة [٣] في س ٢ و٢٥ ق من اللَّيل وبتنا جميعًا في غير خيام عطاشًا من إهمال الفراشين والسقائين الموظفين للصرة ومن كثرة ازدحام الحجَّاج لم يمكنا الحصول عليهم وفي هذه اللَّيلة التقط كل من الحجَّاج من الأرض تسعة وأربعين حصاة في

(١) فأطلق ساروخ: المقصود صاروخ ناري.

(٢) يتبختران: يمشيان على مهل في زهو.

(٣) المزدلفة: أرض متسعة بين عرفات ومنى، فيها مكان المشعر الحرام ومنها تؤخذ الحصى لرمي الجمرات في منى.

قدر الحمصة فغسلوها وحفظوها لرمي الجمرات بمنى.

رمي الحصوات

وفي صبح يوم السَّبت مع طلوع الفجر أتى المحملان إلى المشعر الحرام للتلبية والخطيب يخطب حتى أتم الخطبة وكانت س ١١ و٢٥ ق واتجهت الأحمال إلى منى وسارت حتى نزلت بها والسَّاعة واحدة ونصف فدخل كل أحد إلى خيمته وتوجَّهت إلى العقبة الأولى المشهورة بإبليس الأكبر فرميت سبع حصيات واحدة بعد واحدة مع التكبير من حصى المزدلفة ثم عدت إلى خيمتي فحلقت ولبست ثيابي المعتادة وضحيت وحصل تأخر من السقائين عن إحضار المياه للمتوظفين حتى انتصف النَّهار وذلك لبُعد المياه من جهة ولإهمالهم من جهة حتى اشترى أغلب الناس مياهًا والداعي إلى هذا الإهمال هو أن الترحيلة التي كانت تعطى لكل من السقائين والفراشين والضويَّة [١] والعكامة [٢] في كل عام عند سفرهم إلى الحج علاوة على مرتباتهم صار حجزها فإنه كان عدد الفراشين ثمانية والذي يصرف لهم مبلغ ٩٨٠ قرشا وكانت الضويَّة عشرة وكان يصرف لهم ٩٠٥ وكان السقاءون سبعة والترحيلة التي كانت تصرف لهم ٨٥٠ قرشًا والعكامة ثمانية والترحيلة ١٠٤٠ قرشا فطلب رؤساء كل من السقائين والفراشين في هذا العام السَّفر مع المحمل بالتعيينات فقط رغبة في الحج ووفروا الترحيلة لجانب الميري وفضلًا عن ذلك تعهد رئيس السقائين بأن القرب التي تلزم للصرة تكون من طرفه وقبل ذلك منهم الديوان ولم يتذكر ما يترتب عليه من العطيل والضرر والتعب الكلي للمتوظفين في

(١) الضوية: جمع ضاوي وهو الشخص غير المرموق أو غير المعتبر، وهم الخدم.

(٢) العكامة: الذين يشدون الحبال، والأصل فيها «عكم» المتاع أي شده وجمعه معًا «بالعكام» وهو الحبل أو الخيط الذي يُشد به.

الطَّريق من توفير نحو عشرين جنيهًا ليست شيئًا بالنسبة للمصروفات الجسيمة الجاري صرفها وأما العكامة والضويَّة فما طعن فيهما أحد كغيرهما ليتم تعطل أداء الوظائف الذي كان جاريًا من القديم لكنهم نقصوا من جمال ومرتب أمين الصرة فجلوها ستة بعد أن كانت إحدى عشرة وأما مرتب الأمير فاستوفاه تامًّا وقد صرف له قبل التوجه خمسمائة جنيه قيمة السَّفريَّة وللأمين خمسة وسبعون إنعاميَّة [١] وذلك خلاف الماهيات [٢] والتعيينات كما بيناه بالجدول السَّابق وفي منتصف السَّاعة الخامسة من هذا اليوم بلغت الحرارة ٣٧ سنتجراد وسمعت بأن الحر اشتد فيه جدًّا ولم يمكني النظر في مقياس الحرارة [٣] بعد الزَّوال لأني نزلت إلى مكَّة لأداء الطواف ولم أعد منها إلا بعد الغروب لرطوبة الهواء بها نوعًا وكانت خالية من السكان وكثر فيها الذباب وذلك لتحول البياعين [٤] وغيرهم منها إلى منى ورجعت بعد الغروب إلى منى وبرد الهواء طول اللَّيل مع أن الحر كان في النَّهار شديدًا.

التَهنئة بالعيد

وفي ثاني العيد أعني: يوم الأحد ١١ الحجَّة سنة ١٣٠٢ كانت الحرارة عند الشروق ٢٣ سنتجراد، وفي س ١٢ و٣٠ ق توجَّهت مع أمير الحج إلى خيمة سعادة الشَّريف لتهنئته بالعيد وبفرمان الولاية وتُلي أمامه هذا الفرمان بحضور والي الأقطار الحجازيَّة سعادتلو [٥] عثمان باشا المشير وسعادتلو عمر باشا قومندان العساكر وعدة

(١) إنعامية: إكرامية.

(٢) الماهيات: الرواتب.

(٣) مقياس الحرارة: أو ميزان الحرارة وهو الثرمومتر Thermometer.

(٤) البياعين: جمع بائع.

(٥) سعادتلو: سعادة.

من الضباط والأمراء والشرفاء والعلماء وأمير وأمين الحج الشامي وعلى الجميع ملابس التشريفات والنياشين ثم بعد التلاوة والدعاء لمولانا السلطان ووزرائه ولخديوي مصر وضع على سعادة الشَّريف خلعة شاهانيَّة مزركشة وسعادته أمر بخلع أكراك ثمينة القيمة على كل من سعادة الوالي وأمير الحج الشامي وأمين صرته وعلى بعض المتوظفين وشربوا الشربات وانصرفوا من عنده فرحين شاكرين وتوجه كل من الذوات إلى الآخر في خيمته يهنيه [1] بالعيد على حسب مراتبهم فأولًا أنجال سعادة الشَّريف ثم الوالي ثم أرباب الوظائف ثم أمير الحج الشامي ثم أمينه وفي وقت الزَّوال والسَّاعة خمسة أطلقت المدافع من كل جهة وقل الهواء وكانت الحرارة ٣٧ سنتجراد وفي السَّاعة السَّابعة بلغت ٤٠ سنتجراد مع وجود الهواء، وفي س ١١ حضر وإلى مكَّة إلى أمير الحج المصري مهنئًا له بالعيد وبعد العشاء ضربت المدافع والسواريخ من جهة الإمارة والولاية والمصريَّة والشامي وصارت لحوم الأضاحي ملقاة على الطرق مع اجتهاد مأموري الصحة في منع ذلك وطبعها للمنشورات وإعدادها عربانات لحمل القذرات أولًا فأولًا لكن لم يتيسر ذلك وفي السَّاعة اثنتي عشرة ونصف من صبيحة يوم الاثنين كانت الحرارة ٢٨ سنتجراد، وفي س ٥ و١٥ ق كانت ٣٧ سنتجراد وأطلق مدفع التحمي، وفي س ٦ من بعد آذان الظهر وكب المحمل، وفي س ٨ نزل بالحرم أمام باب علي وتوجَّهت مع الأمير إلى التكيَّة المصريَّة فما وجدنا فيها أحدًا من مستخدميها ووجدنا ناظرها قد توفي ولم يعين لها من مصر ناظر غيره إلى وقت الحج إلا أن سعادة الشَّريف اختار أن يكون أحد المقيمين بها من مستخدميها وكيلًا ويستلم إيرادها من الصرة إلى حضور من يعين للنظارة من ديوان الأوقاف بمصر، وفي س ١١ و٣٠ ق كانت الحرارة ٣٩ سنتجراد وما جاء هذا

(١) بهنيه: يهنئه.

الوكيل ولا أحد من الخدامين إلا قريبًا من العشاء والتكيَّة بدون تنوير [١] وجميع الخدامين مهملون في خدماتهم إهمالًا كليًّا في المطاف تحت أرجل الناس من شدة الازدحام وخرجت أمعاؤهم وانتشرت دماؤهم.

وفي يوم الثُّلاثاء ١٣ الحجَّة كانت الحرارة صباحًا ٣١ سنتجراد وبعد الزَّوال ٣٦.

وفي يوم الأربعاء ١٤ منه وبعد السَّاعة اثنتي عشرة ونصف صباحًا كانت الحرارة ٢٩ سنتجراد وبعد السَّاعة السَّادسة بلغت ٣٤ وبعد التَّاسعة بربع وقت العصر بلغت ٣٥ سنتجراد وصرفت مرتبات التكيَّة وأعطى لكل مقوم [٢] عن كل جمل أربع ريالات من مكَّة إلى عرفات ذهابًا وإيابًا وكان الحجَّاج يتوجهون للإحرام بالعمرة من مكان يسمَّى التنعيم [٣] في الجهة الغربيَّة الشماليَّة بمسافة ساعة ونصف من مكَّة.

وفي يوم الجمعة ١٦ منه كانت الحرارة مثل اليوم الماضي وجميع الحجَّاج تقريبًا حصل لهم بعد النزول من منى نوع حمى عقب الإحرام وذلك من شدة الحر واستنشاق روائح اللحوم المتعفنة ومن كثرة الازدحام وكثرة تناول الفواكه الشهيَّة المجلوبة من الطائف لكن من فضل الله انقضى هذا العارض من غير خطر ولا كثير ضرر.

---

(١) بدون تنوير: بدون إضاءة.

(٢) مقوم: الذي يتولى قيادة الجمال واستناختها.

(٣) التنعيم: المكان الذي اعتمرت منه، وهو خارج مكة المكرمة (مسجد عائشة رضي الله عنها).

وصف الحرم المكي

والحرم الشَّريف طوله مشرقًا مغربًا ١٩٢ مترًا وعرضه ١٣٢ مترًا زوايا أضلعه ليست قائمة في دوائره الأربع قباب على أعمدة من المرمر [١] والحجر النحت عليه سبع مآذن في وسطه بيت الله الحرام أي: الكعبة مربع الشَّكل تقريبًا طوله اثنا عشر مترًا في عشرة أمتار وعشرة سانتي (سنتيمتر) فضلًا عن الشاذروان [٢] وارتفاعه نحو خمسة عشر مترًا وقد وصفنا ذلك مطولًا في كتابنا المسمى مشعل المحمل فليراجع.

وصف الطائف وعادات أهلها

والطائف بلدة بينها وبين مكَّة ثمان عشرة ساعة تحتوي على أربعمائة دار وعدد من بها من النفوس ألفان تقريبًا وهي محاطة بالبساتين والجنان شهيرة بالفواكه وفيها جامع كبير به ضريح سيِّدنا عبد الله بن العبَّاس حبر الأمة وابن عم النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم وفيها من آثار الجاهليَّة صنما اللات والعزى وجميع عربان الطائف مطيعون لسعادة الشَّريف أمير مكَّة وللحكومة وأغلبهم مقيم بأرض سفيان وثقيف ولبعضهم عوائد [٣] وحشيَّة [٤] يعتقدونها دينيَّة منها أنهم لا يختنون صبيانهم إلا بعد البلوغ أعني: بعد سن خمس عشرة سنة وكيفيَّة الختان عندهم أن يسلخوا جلد المختون من أسفل سرته بعرض بطنه إلى ثلثي فخذيه مع جميع جلدة ذكره وأغلبهم

(١) المرمر: الرخام Alabaster.

(٢) الشاذروان: هي الدرجة من البناء التي تحيط ببناء الكعبة (السور).

(٣) عوائد: عادات.

(٤) وحشية: عادات قاسية.

يموت من ذلك ويكون المختون قد خطب له زجة من قبل فتحضر وقت سلخه وتزغرت تشجيعًا له مع ضرب الطبول وهو واقف ثابت يهز خنجرا بيده ويذكر بأعلى صوته بدون تضجر بل بفرح اسمه وألقابه ونسبه حتى تنتهي العمليَّة وإن تأوَّه كان ذلك عليه عارًا ولا ترضى به خطيبته وأما إناثهم فلا ختان لهن، وكيفيَّة عقد النكاح عند هؤلاء أن أحد أقارب الزوجة يقول لها: زوجتك فلانًا فقط بدون أن يحضر فقيه أو يذكر مهر ونساؤهم لا يسترون عن الرجال وليس بمكَّة بساتين ولا أشجار إلا بمحل خارج عنها بثلث ساعة يسمَّى بركة ماجد به بعض نخيل وخضروات وأغلب الخضروات تأتي إليها من وادي فاطمة وسولة ووادي الليمون وكل منها بعيد عن مكَّة بأربع عشرة ساعة وفي أثناء صرف المرتبات جاءت امرأة اسمها مسعودة كان لها زوج من عساكر الباشبوزوق [١] فتوفي ورتب لها ولابنتها منه معاش بالروزنامة [٢] حجت في العام الماضي ثم توجَّهت للزيارة فسلبها الأعراب في طريق المدينة فعادت إلى مكَّة وأقامت بها وصرف لها مرتبها بالروزنامة لكن مع استنزال فرق المعاملة بين مكَّة ومصر أعني: أنهم صرفوا لها الريال الإباطاقة [٣] زائدًا عن قيمته بمصر ثلاثة غروش [٤] حيث حسبوه بعشرين بدلًا عن سبعة عشر بذاك الوقت ولاحق للماليَّة وللروزنامة في ذلك فإن مرتب المعاش مبلغ معين لا ينقص ولا يزيد باختلاف البلاد والمرتب لهذه المرأة سنويًّا ١٩٦٩ قرشًا فكيف يصرف لها بمكَّة ١٤٥٧ قرشًا وينقص معاشها ٥١٢ قرشًا وهو مبلغ جسيم تستعين به مع بنتها على حالهما وهما فقيرتان جدًّا ومعلوم أن مرتب المعاش كالماهيات ٠١ وحيث إن ماهيات المستخدمين بالتكيَّة تصرف على ما هو الجاري بمصر لا بمكَّة فمن العدالة

(١) الباشبوزوق: التشريفات وهم أقل العساكر في الرتب.

(٢) الروزنامة: يقصد المعاش الشهري الحكومي، وهي تركية المركبة.

(٣) الريال الأباطاقة : الذي به طاقة.

(٤) غروش: قروش وهي عملة مصرية وتساوي ١ ÷ ١٠٠ من الجنيه المصري.

صرف معاشات زوجات المتوفين بالخدامة [١] على ذلك أيضًا مع أن هناك من الناس من يعامل بذلك ومع أن المبلغ الذي يتوفر منهن جزئي وهن يقتتن به مدة طويلة ويزيد شكرهن ودعاؤهن للحضرة الخديويَّة.[٢]

المرتبات والمخصصات

وكيفيَّة صرف المرتبات بالأراضي الحجازيَّة مثالها أن أولاد الشَّريف هاشم مربوط لهم من الرزنامة عن كل عام مبلغ ١٥٧٩ قرشًا وإنما يصرف لهم بمكَّة ١٣٤٠ قرشًا عملة صاغًا في مقابلة المبلغ المربوط وذلك على حسب قيمة عملة مكَّة ويتوفر لخزينة الميري [٣] بارة ٢٠ و٢٣٩ قرشًا وأن المربوط لسعادة أمير مكَّة عن مرتب الوظيفة والمعاش وثمن كساوي [٤] ستمائة وتسعة وأربعون جنيهًا أفرنكيًّا [٥] وهاك قيمة أصناف المعاملة بكل من جدَّة ومكَّة.

(١) الخدامة: الخدمة في العمل الحكومي.

(٢) للحضرة الخديوية: لقب يمنحه الباب العالي بالأستانة للحكام المصريين.

(٣) لخزينة الميري: خزينة الحكومة، أو خزينة الدولة.

(٤) كساوي: ملابس.

(٥) جنيها أفرنكيًّا: جنيها إنجليزيًّا.

بوقت الحج	من بعد الحج	
١٦٩ ٠٠	١٧١ ٠٠	جنيه مصري
١٦٨ ٠٠	١٧٠ ٠٠	إنكليزي
١٢٨ ٠٠	١٣٣ ٠٠	بينتو
١٤٨ ٠٠	١٥١ ٠٠	جنيه إسلامبولي
٠٢٨ ٠٠	٠٢٨ ٢٠	ريال بطاقة
٠٢٦ ٠٠	٠٢٨ ٠٠	، مجيدي (١)
٠١٣ ٠٠	٠٠٠ ٠٠	روبية
٠٠١ ٢٠	٠٠١ ٣٠	القرش المصري
٠٠٠ ١٥	٠٠٠ ٠٠	عشرة فضة إسلامبولي
٠٠٠ ٠٥	٠٠٠ ٠٠	الخمستين النحاس الإسلامبولي

مقابلة شريف مكَّة

وفي يوم السَّبت ١٧ الحجَّة السَّاعة ٢ بلغت الحرارة ٣١ سنتجراد، وفي س ١٠ بلغت ٣٥ درجة وفي صبيحة يوم الأحد كانت الحرارة سـ ٢٩ درجة وفي الظهر س ٧ بلغت ٣٥ درجة سنتجراد وذلك جميعه داخل مكان بالتكيَّة وفي اللَّيل التَّالي لهذا اليوم توجَّهت إلى سعادة الشَّريف فوجدته جالسًا على كرسي بين اثنين من أعيان مكَّة في محل سماوي في الدور الثَّاني طوله ١٨ مترًا وعرضه ٦ أمتار وفيه شبابيك مطلة على حوش متسع في وسطه خيول قائمة ليلًا ونهارًا بدون تظليل ولا مداود [٢]

(١) ريال مجيدي: ريال عثماني.

(٢) مداود: الآتية المعدة لأكل المواشي، وعادة تكون من مواد البناء أو، الفخار.

obeikandl.com

وفي دائرة أيضًا خيول تحت عروش [١] البواكي غير معتنى بجميعها من حيث الخدمة كما ينبغي وفي نصف السَّاعة الرَّابعة حضرت آلات الطرب أي: الموسيقى بأيدي عشرة أشخاص قد أحضرهم من مصر فوقفوا أمام سعادة الشَّريف حذاء الحائط بحيث كانت المسافة بينه وبينهم أربعة أمتار ثم أتى الفرايحيَّة وهم من مصر أيضًا عددهم خمسة من الزمارة والطبالة [٢] وصار كل من هؤلاء المطربين يلحنون ويزمرون بالنوبة وصار الجليس لا يمكنه سماع كلام جليسه من ارتفاع أصوات هذه الآلات المطربات والزمر وتضايق [٣] المكان بمن حضر فسبحان المعطي الوهاب، وفي نصف السَّاعة الخامسة أمروا جميعًا بالانصراف وعاينت في ليلة أخرى بعد العشاء الآلاتية [٤] والفرايحيَّة والنقرازنيَّة [٥] يضربون سويَّة أمام منزل سعادته وفي يوم الاثنين كانت الحرارة سـ ٢٩ درجة أيضًا وحصل قبيل العصر رعد ومطر يسير وكان سعادة الشَّريف قد دعاني إلى الغداء معه فأجبت ولم يكن معنا ثالث وعاينت منه غاية الملاطفة والبشاشة والاعتناء وطيب النفس وسمح لي برسم صورته بالفتوغرافيا بملابس التشريف.

في مجلس الشَّريف

وفي يوم الثُّلاثاء ٢٠ الحجَّة كانت الحرارة عند الشروق سـ ٣٠ سنتجراد وعند الزَّوال ٣٤ سنتجراد وفي الثامنة منه توجَّهت مع الأمير إلى منزل سعادة الشَّريف

(١) عروش: سقوف.

(٢) الطبالة: الذين يدقون الطبال.

(٣) تضايق المكان: ضاق المكان.

(٤) الآلاتية: الموسيقيون.

(٥) النقرزانية: الذين يعزفون على الآلات النحاسية.

لنحضر المجلس المنعقد في شأن تعيين الطَّريق التي تمر المحامل منها كما هو العادة في كل عام وكان هذا المجلس مشتملًا على سعادة الوالي وبعض من الضباط وعلى أمير الحج الشامي وأمين صرته واستقرت الآراء على المرور من الطَّريق الشَّرقي والسير في ٢٩ من الشَّهر فسقُي الحاضرون ماء مثلجًا بواسطة آلة ضاغطة فيها حمض كبريتيك [١] وعند الغروب أحضر لهم الطعام فتناولوه مع ترنم الموسيقى والمزمار أمام منزل سعادة الشَّريف بكل نغم لطيف وسقوا بعد الطعام الشربات على استماع الآلات من ناي وقانون وشكر حسن التفات سعادة الشَّريف وملاقاته الحاضرون وبعد صلاة المغرب استأذن في الانصراف بعض هؤلاء الحضور وبعضهم أقام ليستكمل حظه من هذا السرور، ولا بأس بأن أذكر هنا ما عرضه علي كثير من رؤساء عربان الطَّريق السلطاني في شأن مرور المحمل المصري من طريقهم مع الأمن وأنهم يعطون على ذلك رهونات [٢] إما لسعادة الوالي أو لجناب الشَّريف لكن لعدم صدور أوامر قطعيَّة من الحكومة المصريَّة لأمراء الحج في هذا الشأن لم يجاسر على الاتفاق معهم على ذلك إنسان وإنما اختار الوالي والشَّريف هذه الطَّريق التي يمر الآن منها من تلقاء أنفسهما للعلم بأن المحمل الشامي لا يتأتي له المرور من الطَّريق السلطاني للمشاجرات [٣] السَّابقة بين الحج الشامي وبين أعراب هذه الطَّريق وبترك المصري طبعًا على أتباعه ليتقوى كل منهما بالآخر مع أن الطَّريق السلطاني أقرب من غيرها ولا يتعسر وجود الماء فيها كغيرها الذي هو كثير الخطر فالأوفق أن ترسل

(١) آلة ضاغطة فيها حمض كبريتيك: عله يقصد الثلج الجاف وهو ثاني أكسيد الكربون Carbondiocide في حالته الصلبة، ومن خصائصه أن يتبخر ببطء، وهو إذ يفعل ذلك يبرد الأجسام التي حوله ويخفض درجة حرارتها، غير أنه على جانب من الخطورة إذ إنه يحرق الجلد العاري.

(٢) رهونات: من (رهن) والمرتهن الذي يأخذ الرهن، والشيء (مرهون) ورهين.

(٣) المشاجرات: المعروف أن المحمل الشامي تعرض عبر التاريخ للعديد من اعتداءات القبائل القاطنين على طريق الركب الشامي.

الدولة الخديويَّة مع الحج أمير أتقدم له ذلك ذا دراية بالطرق ومعرفة برؤساء قبائل العرب وعوائدها وطبائعهم ليتألفهم ويسترضيهم شيئًا فشيئًا فيعتمدونه ويتكلفون بمرور المحمل من طريقهم مع الأمنية فتتمتنع زيادة المصاريف عن الخديويَّة المصريَّة كما علمت ذلك.

obeikandl.com

طرق سير المحامل من مكَّة إلى المدينة

واعلم أن الطرق المعتادة لسير المحامل والقوافل من مكَّة إلى المدينة ثلاثة أحدها السلطاني وأول محطَّة به وادي فاطمة ثم عسفان ثم خليص ثم بئر قديمة ثم رابغ ثم المستورة ثم بدر ثم الصفراء ثم بئر العبَّاس ثم بئر شريوفي ثم المدينة.

الطَّريق الثَّاني الفرعي وأول محطاته رابغ ثم بئر رضوان أو الشيوخ ثم أبو دبع ثم الريان ثم الغدير ثم بئر ماشا ثم المدينة.

الطَّريق الثَّالث الشَّرقي وأول محطاته بئر البارود ثم وادي الليمون ثم المضيق ثم الفحاير أو الضريبة ثم البركة ثم حاذا ثم الحبيط أو ضبعة ثم سفينة ثم السويرجيَّة ثم الحجريَّة ثم غرابة ثم الحنق أو الغدير ثم سيِّدنا حمزة رضي الله عنه ثم المدينة على ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام.

تأمين الطَّريق من مهاجمة العربان

وفي يوم الأربعاء الحادي والعشرين بلغت الحرارة بعد الزَّوال ٣٦ درجة وصرفت فيه مرتبات وفي أثناء الصرف حضر أحد الشرفاء بكتاب من طرف سعادة الشَّريف مضمونه أنه مندوب للتوجه مع الحمل المصري إلى المدينة ليحفظه من غدر ومكايد عربان الطَّريق كما هي العادة في كل عام وطلب أن يصرف له مرتبه المخصص له في مقابلة ذلك ولعلمي بعدم توجه هذا المندوب في العام الماضي مع الحمل طلبت منه أن يعطيني تعهدًا عليه بذلك فامتنع وامتنعت من إعطائه شيئًا والحالة هذه ولما تقابلت مع سعادة الشَّريف أخبرته بما جرى بيني وبين هذا المندوب

فصوب رأي وأمره بإعطاء التعهد وبالسير صحبة المحمل إلى المدينة فكان ذلك إلا أنه عجز عن حماية نفسه منهم فضلًا عن حمايته للمحمل فإنهم سلبوا أربعة جمال من المحمل بحملها وسلبوا منه هجينًا وقتلوا أخرى لما تخلف عن الرَّكب في إحدى المحطَّات كما سيأتي ولولا أنه فر منهم هاربًا وأغاثه العساكر لقتله ومن معه العربان.

وفي يوم الخميس ٢٢ منه بلغت الحرارة ٣٦ درجة.

وفي يوم الجمعة ٢٣ منه كانت درجة الحرارة مثل ما قبلها أيضًا.

ويوم يوم السَّبت ٢٤ منه جرى صرف المرتبات وبلغت الحرارة وقت الزَّوال ٣٤ سنتجراد.

وفي يوم الأحد ٢٥ منه صارت الحرارة بعد الزَّوال ٣٥ سنتجراد.

وفي يوم الاثنين مثل ذلك والصرف جار للعربان.

في مجلس الشَّريف

وفي يوم الثُّلاثاء ٢٧ منه توجَّهت صباحًا إلى سعادة الشَّريف فوجدته جالسًا في روشن [1] لمحل الدور الأول يقضي حوائج العربان وغيرهم ويسعى في مصالحهم ومنهم من يقبل يده ولا يتركها ما دام يشكو حاله إليه والآخر يكلم سعادته بصوت عال وآخرون يعرضون شئونهم معًا في آن واحد بأصوات مرتفعة وآخر يحكي له حكاية طويلة مع هزه لركبته لظنه أنه لا يصغي إليه إلا بذلك هذا كله وهو يحكم

(١) روشن: كلمة فارسية بمعنى المنور.

عليهم مع الرازنة [١] والحكم بينهم بالعدل مع البشاشة التي هي شيمته وعنده الفقير والغني سيان ويدعونه سيد الجميع ومنهم من يقبل ركبته ومن يقبل يده على حسب مراتبهم.

وفي يوم الأربعاء ٢٨ منه بلغت الحرارة بعد الزَّوال ٣٦ درجة، وفي س ١٠ و٣٠ ق أرعدت السماء وأمطرت بردًا واستمر المطر ساعة تامة ثم انخفضت الحرارة إلى ٣٣ درجة سنتجراد.

وفي يوم الخميس ٢٩ منه كانت الحرارة مثلها ولم يتأت المسير إلى المدينة على حسب ما كان قرره المجلس لتأخر الشامي في انتظار صرف تعييناته.

القوات العسكريَّة في الحجاز

وفي يوم الجمعة ٣٠ الحجَّة كانت الحرارة بعد الزَّوال ٣٥ سنتجراد وبمكَّة طابوران من العساكر البيادة [٢] كل طابور ٨٠٠ نفر وبالطائف نصف طابور وكذا بجدَّة وكذا برابغ وكذا بينبع فالمجموع أربعة طوابير وبمكَّة أيضًا ثلاثة طوابير ضبطيَّة جندرمة سواري وواحد بيادة موزعين على الجهات والمدينة ثلاثة طوابير نظاميَّة وطابور سواري وطابور بيادة ضبطيَّة [٣] وبالحجاز آلاي طوبجي محلي وآلاي طوبجي جبلي وستة مراكب حربيَّة نصف فيلو بالبحر الأحمر ثلاث منها دوريَّة من باب المندب إلى ينبع والأخريان إحداهما بباب المندوب والثَّانية بالحديدة والثَّالثة بجدَّة.

---

(١) الرزانة: الهدوء.

(٢) العساكر البيادة: العساكر المشاة.

(٣) بيادة ضبطية: حرس أمن.

أحوال مكَّة

ولنذكر هنا نبذة تتعلق بمكَّة وسكانها فنقول: (اعلم) أن مكَّة يقطع الماشي طولها في نحو نصف ساعة وأن عرضها أقل من طولها لكن لوجود أماكن على كيمان كل من جانبيها يلزم لقطع عرضها زمن أكثر من الزمن الذي يقطع فيه طولها وأن سكانها أخلاط من الجاوا والهنود والمصريِّين والأتراك والتكارنة وأهل اليمن والعربان وأن الأوقوات [١] والتجارات تأتي إليهم من الخارج وليس هناك ما يتجرون فيه إلا ماء زمزم والحناء والأراك [٢] الذي يستعمل في السواك وتجارهم من الغرباء ومنهم من يخرج ماله بالربح بأن يعطي عشرة ويأخذ سندًا باثني عشر أو أكثر واكتسابهم من الحجَّاج وخصوصًا الجاوا [٣] لغناهم وتدينهم وأغلب سكانها ما بين مطوف وسقاء [٤] وبناء ونجار ومن عوائدهم اجتماع بعضهم بعد الحج ببعض للخروج إلى النزهة بالطائف وبالسَّيدة ميمونة (في ١٣ صفر) وبالزاهر وجمعياتهم تحتوي على سماع آلات الطرب وترقيص الغلمان وأفراح الزواج وفي رجب يسافرون للزيارة بالمدينة وفي هذه الأشياء يصرفون كل ما اكتسبوه في سائر عامهم ومنهم من يحفظ شيئًا من هذا الكسب يستعين به على السَّفر إلى الآستانة أو مصر أو الهند أو بلاد الجاوا ليتعارفوا مع من يريد الحج في العام الآتي فهم بهذه الأسباب على الدوام فقراء ترتكبهم الديون ولولا وجود عين زبيدة عندهم لهلكوا عطشًا.

---

(١) الأقوات: الأطعمة.

(٢) الأراك: شجر.

(٣) الجاوا: أهل جزيرة جاوا (بأندونيسيا) وكانت هذه الجزيرة من أغنى جزر العالم.

(٤) سقاء: مساقي: يقوم بإسقاء الناس مقابل بعض من المال.

ولاية الحجاز

واعلم أن ولاية الحجاز محدودة من الجنوب ببلاد عسير ومن الشَّرق بصحراء نجد ومن الشمال بسورية ومن الغرب بالبحر الأحمر وأن مساحتها بالتقريب ١١٩٣٥١٧ كيلو متر مربع وأكبر جبل بها جبل قرا يبتدئ من عدن ويتسلسل إلى الطور وبجنوب مكَّة جبل أيوب وجبل سبوع وبالمدينة جبل فقرة وجبل أُحد وجبل جهينة كلها من الشوامخ، ومجموع سكانها من الحواضر والبوادي بالتخمين ٧٠٠٠٠٠ نفس وتحمل إليها الحبوب من مصر وبومباي ومعيشة العربان من زراعة الذرة والدخن وعدد ما بين مكَّة والمدينة من الجمال ينيف [1] على ١٥٠٠٠ جمل ويوجد في أوديتها وفي جبل كبكب من الوحوش الثعالب والفهود وأما القرود فكثيرة بجبل قرا.

واردات الحجاز

واعلم أن مجموع وارداتها مبلغ بارة ٢٠ و١٥٣٣٩٣٤ قرش منها بارة ٣٠ و٢٥٦٦٠٧ قرش احتسابيَّة ٤٠٠٠٠ قرش قنطاريَّة ٨٠٠٠٠ قرش أسماك بارة ٣٠ و٩٩٧٧٨٩ قرش تخريجيَّة ١٣٧٤٤٥ قرش زكوات أي: عشور ٢٢٠٩٢ قرش واردات متنوعة، وأما المنصرفات فهي بارة ٨ و٢٥٥١٨٩٠٦ قرش منها معاشات ومرتبات أشراف وسادات ومحتاجين ومجاورين بمكَّة والمدينة وجدَّة بارة ٢٧ و٦٠٥٩٥٦٦ قرش ومنها منصرفات للمحملين والعربان وثمن ذخائر وبعض مصروفات محليَّة بارة ٢٩ و٤٩٨٧٧٠٤ قرش ومنصرفات للعساكر والبحريَّة

(١) ينيف: يزيد.

والضبطة الشاهانيَّة بارة ٣٢ و١٤٤٧١٦٣٤ قرش فبعد خصم المنصرف من الوارد يزيد المنصرف مبلغ بارة ٢٨ و٢٣٩٨٤٩٧١ قرش تدفعه الدولة من خزينتها.

سكان الحجاز وقبائلها (١)

واعلم أن سكان هذه الولاية قبائل متنوعة منها قبيلة الصميدات التي عددها ٩٠٠ وشيخ مشايخها حذيفة ومنها قبيلة رهقان بالبعد عن المدينة بثلاثين ساعة وقبيلة صحاري عددها ٣٠٠٠ نفس وشيخها إبراهيم بن مطلق ومنها قبيلة فضيلة عددها ٩٠٠ نفس وشيخها فهد وبالجديدة من الدرب السلطاني قبيلة بني عمر عددها ٧٠٠ نفس وشيخهم عوض بن درويش وفي بئر الرَّاحة قبيلة رحلة ٥٠٠ نفس من شعب بني عمر بيوتهم الخيش وليس سوى الجمال لهم عيش وقبيلة الأحامدة التي عددها ٦٠٠ نفس منازلهم بكل من الصفراء والحمراء وتعيشهم من الجمال أيضًا وفي بحري المدينة قبيلة تميم عددها ٧٠٠ نفس وبجوارها قبيلة السعادين ٦٠٠ نفس وفي بدر قبيلة صبح عددها ١٤٠٠ نفس وأغلبهم جمالة وقبيلة الحوازم في كل من الصفراء والحمراء والجديدة عددها ٢٥٠٠ نفس تحمل على جمالهم المهمات الميريَّة والتجارية من ينبع إلى المدينة وإلى سائر الجهات وعامة من ذكرنا من هذه القبائل تسمَّى بني حرب وهم بمنزلة قبيلة واحدة ما عدا الحوازم ولجميعهم مرتبات وعوائد من الدولة العليَّة ومصر تصل إليهم في كل عام من المحملين، ومن قبائل الطَّريق الفرعي بنو عوف والصواعد الذين شيخهم محمَّد بن الربيج وعددهم ٣٥٠٠ نفس وهم في الفلاة بين الريان والمدينة بيوتهم الخيش وبنو عمر عددهم ٢٥٠٠ نفس نصفهم مقيم بالشَّرق في بيوت من الخيش والنصف الآخر نازلون بكل

(١) إن ما أشار إليه من قبائل الحجاز لا يحمل اسم قبيلة.

من الريان والمضيق وفيما بين أبي ضباع ورابغ من الأراضي وقبيلة بلاديَّة عددها ١٣٠٠ نفس بالقرب من منازل بني عمر وفيما بين غائر ورابغ قبيلة لهيبة في بيوت من الخيش عددهم ١٠٠٠ نفس وقبيلة زبيد عددها ٧٠٠٠ نفس منازلها من رابغ إلى الأماكن القريبة من مكَّة وجدَّة كخليص وعسفان وقضيمة ووادية وهؤلاء بعضهم في بيوت الخيش وبعضهم يسكنون البلاد وهناك قبائل غير هؤلاء مشايخهم بمنزلة عمد ليس لهم أخذ ولا عطاء مع الدلة بحسب مواقعهم مع أن جميعهم مطيعون لها.

غرائب عادات سكان الحجاز

و أما من حيث طبائع ومعايش ومذاهب هذه القبائل فمنهم من يسكنون بيوتًا كالعشش يسمونها بلدة ولهم زروع ونخيل ومنهم من يسكنون بيوتًا من الخيش [١] ويتخذون الجمال والغنم للتعيش منها ومن عرب الطَّريق الشَّرقي قبيلة أبي ضباع المسمَّاة بالزيد أي: الزيديَّة نسبة إلى زيد بن علي زين العابدين رضوان الله عليه وعلى آله الطاهرين لادعائهم كذبًا أنهم على مذهبه وإنما ابتدعوا مذهبًا خارجًا عن مذاهب أهل السنَّة يقال: إنهم يبيحون الجمع بين الأختين ولا يوجبون على المطلقة عدة ويقتلون الصيد في الحرم ويصلون الصبح أداء بعد شروق الشَّمس ولا يصلون المغرب إلا قريبًا من العشاء ويبغضون كثيرًا من الصحابة كالأعجام ويضعون في أكفان موتاهم خبزًا معه إناء فيه ماء وقضيبان [٢] من الخيزران [٣] أو من جريد النخل ولهم نخيل وبساتين وأغلبهم قطاع الطَّريق والأمر عندهم بالشورى فمتى استحسنت عقولهم شيئًا عملوا به ولا يصاهرهم أحد من سائر القبائل لخروجهم

(١) الخيش: نسيج خيوطه غلاظ ويكون من مشاقة الكتان.

(٢) قضيبان: عمودان أو فرعان.

(٣) خيزران: نبات معروف بصلاة فروعه اسمه العلمي Cane.

عن مذاهب أهل السنَّة والجماعة [١] وأما غير هؤلاء من بقيَّة القبائل فعلى مذاهب أهل السنَّة ويصاهر بعضهم بعضًا برضى والد الزوجة أو غيره من أوليائها عند عدم وجوده بدون استشارة المتزوجة في ذلك وبدون أن تخرج من بيتها ولا يشربون الخمر وإنما يشرب الرجل منهم قهوة البن والدخان دون الإناث ولهم مساجد وفقهاء يعلمون أولادهم الكتابة وقراءة القرآن العظيم ولا يجتمعون للذكر وطريقتهم سنوسيَّة جهريَّة ويعملون في أفراحهم الولائم ولا يختلط الرجال منهم بالنساء ويزفون عرائسهم بالجواري السود ليلًا إلى بيت الزوج من غير أن يبصرها الرجال وهذه هي العادة عند الأحامدة وما عداهم من القبائل لا حرج عندهم في اختلاط النساء بالرجال إلا أن جميعهم يذبحون كلًّا من الزاني والزانيَّة ولا تخرج نساؤهم لتشييع الجنائز ويتصدقون على قدر حالهم ويصنعون الولائم في الأعراس مع الطبول والبرجاس [٢] وغذاؤهم التمر مع السمن واللحم مع العسل وخبزهم من الحنطة مع القلة [٣] وذبائحهم من الجمال والأغنام ولا يوجد عندهم بقر ولا جاموس ولا دجاج رومي بل قليل من الدجاج البلدي ولا يأكلون الخضارات لاعتقادهم أنها تسبب رخاوة الأجسام ومتى تشاجر أحد من قبيلة ولو طفلًا مع أحد من قبيلة أخرى واستغاث أحدهما بقبيلته قامت الحرب بين القبيلتين بدون استشارة رئيس ولا ينفكون عن ذلك إلا مدة اللَّيل ومتى جاء النَّهار عادوا إلى ما كانوا فيه ما لم تتوسط كبارهم في إطفاء الفتنة ويصلحوا بينهم.

---

(١) ينطبق هذا الكلام على الفلاة والرافضة ومن على شاكلهم، أما الزيدية فإنهم الأقرب إلى مذهب أهل السنة والجماعة، واشتهر هذا المذهب في اليمن.

(٢) البرجاس: آلة موسيقية.

(٣) القلة: يقصد حاوية من العجوة Compressed dates.

من مكَّة إلى المدينة

وفي يوم السَّبت أول المحرم سنة ١٣٠٣هـ ٩ أكتوبر سنة ٨٥ كانت الحرارة عند الشروق سـ ٢٩ سنتجراد ووكب المحمل من باب علي والسَّاعة سـ ٢ وكان سعادة الوالي في انتظاره أمام منزله فلما دنا منه أخذ زمام الجمل فدار بالموكب ثلاث دورات أمام المنزل ثم سلم الزمام فسار المحمل إلى أن وصل أمام خيمة الأمير خارجًا عن الشَّيخ محمود فنزل هناك للمبيت وعدت إلى مكَّة لطواف الوداع ووداع كل من سعادة الشَّريف والوالي وبتنا مع المحمل وفي هذا اليوم قام الشامي إلى المدينة وكان سبق التنبيه في يوم الجمعة على المقومين بإحضار الجمال اللازمة وكان الهواء معتدلًا بتلك البقعة وبلغت الحرارة قبيل الشروق سـ ٢٥ سنتجراد وفي صباح يوم الأحد لم يكن عدد الجمال المطلوبة تم بالنظر لكثرة الحجَّاج وتوجه القوافل وعدم تعود المقومين على مشال المحمل مع أناصر فنالهم نصف الأجرة مقدمًا على حسب شروطهم وكانت أجرة الشقدف [١] من مكَّة إلى المدينة ١٨ ريالًا بطاقة وأجرة العصم ١٧ وأما من مكَّة إلى المدينة ثم إلى ينبع فأجرة الشقدف ٢٣ والعصم [٢] ٢٢ ومن مكَّة إلى المدينة ثم إلى جدَّة الشقدف ٢٨ والعصم ٢٧ ومن مكَّة إلى المدينة ثم إلى الوجه الشقدف ٣٥ والعصم ٣٤ والعادة الجارية بمكَّة أن يدفع المقوم من أجرة جماله عن كل جمل يسافر إلى المدينة ريالًا للشريف وريالًا للميري وثالثًا للمخرج ورابعًا للمطوف فإن كان إلى جدَّة فربع ريال فقط للميري وكذا على الآتي منها إلى مكَّة وأما من المدينة إلى ينبع فريال للمزور وآخر للميري ومع هذا انتظرنا تمام الجمال

(١) الشقدف: الهودج.

(٢) العصم: هودج أصغر حجمًا وأبسط هيئة من الشقدف.

إلى السَّاعة الخامسة وسار الرَّكب إلى جهة الشمال الغربي في طريق العمرة ثم شمالًا، وفي س ٥ و٣٥ ق انحرف إلى الشمال الشَّرقي في طريق مرملة متسعة بين جبال فيها زلط خفيف، وفي س ٦ اتجه شرقًا وبعد ٥ ق شرق مقبلًا وبعد ٥ ق مال من الرق إلى الشمال، وفي س ٦ و٣٠ ق مرَّ على جبال النور عن يمينه بعيدًا عنه وهو على يسار طريق منى ثم شرق، وفي س ٧ و٢٣ ق مرَّ بين جبال متجهًا إلى الشمال الشَّرقي ثم بعد س ٩ و٤٨ ق شرق في وادي متسع مرمل به سنط قليل يعرف بأم غيلان، وفي س ١١ و١٨ ق نزل ببئر البارود وهي متينة البناء اتساعها ستة أمتار وعمقها ١٢ مترًا عذبة الماء وفي قاعها شجرة جميز كبيرة وفي وقت الغروب أرعدت السماء وأبرقت وأمطرت نحو ساعة وربع فأسقطت الرياح الخيام على ما فيها وتكاسل الفراشون عن [١] أشغالهم طول ليلتهم.

الطَّريق من أم غيلان إلى وادي الليمون

وفي يوم الاثنين ٣ منه س ١ و٤٥ ق سار مبحرًا [٢] مشرقًا ثم بعد ساعة انتهى الوادي وصار اتساع الطَّريق ٣٠٠ متر بين جبال بعدها تلال، وفي س ٣ ضاق الطَّريق وبعد عشر دقائق مرَّ على تل لكثرة الزلط يسارًا، وفي س ٤ ضاق الطَّريق وصار عرضه خمسة أمتار بين أحجار وصخور ثم اتسع شيئًا فشيئًا مبحرًا، وفي س ٤ و٣٠ ق انتهى إلى طريق ضيق مشرق قريبًا من وادي الليمون ثم اتجه إلى الشمال الشَّرقي، وفي س ٤ و٤٥ ق مرَّ على بئر عذبة الماء تعقب مرارة في طريق مرملة [٣] اتساعها ٢٠ مترًا بين جبال ثم اتجه مبحرًا مائلًا إلى الغرب، وفي س ٥ و٤٠ ق

(١) الفراشون: المكلفون بنصف الخيام وترتيب الفراش.

(٢) مبحرًا: في اتجاه البحر.

(٣) مرملة: تكثر فيها الرمال الناعمة Fine Sands.

استراح، وفي س ٦ سار مبحرًا ثم مبحرًا مغربًا، وفي س ٧ اتجه إلى الشَّرق الشمالي يسارًا محاذيًا لجبل وبعد ٥ ق مرَّ على بئر معطلة على اليسار واتجه مشرقًا في واد متسع فيه على بعد أراض ذات شكل تارة مربع وتارة مستطيل مرتفعة نحو خمسة أمتار مسطَّحة مرملة يغمرها السيل من الجبال المجاورة لها ويزرعها العربان ذرة وخضراوات، وفي س ٨ و٢٠ ق مرَّ بقطعة أرض عن يساره مرتفعة فيها نخيل وزروع وعشش تسمَّى بالجديدة وعلى يمين الطَّريق صخرة منفردة في جنب طريق بين الشَّرق والجنوب صالحة لمن يسير من السعاة إلى مكَّة ثم اتجه الرَّكب مشرقًا منحرفًا إلى الشمال، وفي س ٩ و٤٥ ق شرع في وادي الليمون عن يسار أرض مرتفعة محاطة بسور ذي حجارة مرصوصة ارتفاعه نحو مترين متسعة فيها نخيل وأشجار وبيوت مبنيَّة في سفل الجبل وعن يمينه في أسفل الجبل بعض نخيل وهناك يباع النارنج والليمون والفجل والفقوس وغير ذلك وعن يساره جنات ممتدات على الطَّريق فيها أشجار ليمون كثيرة وكذا تين شوكي تنصب إليها المياه من جبل بعيد وتجري في وسطها فكأنها روضة من الجنَّة، وفي س ١٠ و١٥ ق اتجه شماليًّا ومر على قناة كبيرة ماؤها جار إلى جنان [١] وهو عذب جدًّا وبعد خمسمائة متر اتجه إلى الشَّرق وبعد ألف متر انتهى الزرع ومرَّ على ماء منصب من الجبل يمينًا إلى قناة مبنيَّة ثم منها إلى الأرض ليدخل في الجنان ثم يجري إلى مسافة بعيدة ونزل الرَّكب بوادي الليمون قريبًا من هذه العين في السَّاعة ١٠ و٤٠ ق في مكان متسع مرتفع عنده سوق فيها يباع اللحم والسمن والأرز المطبوخ والفطير ونحو ذلك يأتي إليها البياعون من مكَّة خصوصًا للتسبب.[٢]

(١) جنان: حدائق.

(٢) التسبب: السبب في اللغة يعني: الحبل وكل ما يتوصل به إلى غيره والمعنى هنا البيع والشراء.

من وادي الليمون إلى أرض المحاجر

وفي يوم الثُّلاثاء كانت الحرارة عند الشروق ٢٦ سنتجراد وبعد س ١ و٤٥ ق سار الرَّكب مشرقًا مبحرًا في أرض متسعة مرملة ذات زلط محاطة بالجبال، وفي س ٦ و٤٠ ق استراح، وفي س ٧ و٢٠ ق سار إلى الشَّرق تقريبًا وفي ٨ و١٠ ق اتجه إلى الشَّرق الشمالي ثم تارة إلى الشَّرق وتارة إلى الشمال على حسب وضع الجبال في سنط وزلط ورمل، وفي س ٩ و٢٠ ق ظهر جبل أمامنا يظن أنه ساد للطريق فهبط يسيرًا واتجه إلى الشمال في اتساع بين الجبال ورمل مستوٍ ثم مال إلى الشمال الغربي، وفي س ١٠ و١٠ ق مرَّ على بئر يمينًا يمينًا في أسفل الجبل ماؤها مالح لشرب الدواب واستمر الرعد مع انتشار الغمام [1]، وفي س ١٠ و٢٠ ق نزل الرَّكب للمبيت قريبًا من أول البقعة المسمَّاة بالمضيق.

وفي يوم الأربعاء ٥ محرم س ١٢ و٣٠ ق سار مبحرًا وكانت الحرارة ٢١ درجة والبرد شديد وبعد عشر دقائق مرَّ على عبل وارتفاع قليل ثم انخفاض وسنط وزلط ثم بمتسع عن يساره تلول صغيرة، وفي س ١ و١٠ ق اتجه إلى الشمال الغربي وبعد س ١ و٣٠ ق اتجه إلى الشمال بين جبال وضاقت الطَّريق فصارت نحو عشرين مترًا وهذا ابتداء المضيق ثم اتجه من الشمال الشَّرقي إلى الشَّرق ثم تكاثرت المحاجر واعتدل إلى الشمال بعد س ١ و٤٧ ق ثم مر في متسع وبعد دقيقتين تعسر المنفذ من الحجارة فلم يمر غير جملين جملين ثم انحرف مغربًا، وفي س ١ و٥٧ ق بحر ثم شرق ثم أخذ مبحرًا على حسب وضع جبال الجهتين في الاعوجاج والارتفاع والانخفاض وكثرة السنط والزلط، وفي س ٢ اتسع الطَّريق شمالًا والجبال في ارتفاع

(١) الغمام: السحب، وواحدته (غمامة).

وانخفاض مع كثرة الحجارة ثم انحرف إلى الغرب الشمالي، وفي س ٢ و٢٥ ق شرق نصف دائرة ثم اتجه شمالًا، وفي س ٢ و٣٥ ق دخل في محجر لا يمر منه إلا الجمل فالجمل مسافة ٢٥ مترًا ثم صار يمر منه الجملان فالجملان، وفي س ٢ و٤٣ ق دخل مشرقًا في محجر ثم اتجه للشرق القبلي، وفي س ٢ و٥٤ ق شرق في عرض عشرين مترًا وسهل المسير وبعد س ٣ و٨ ق انتهى المضيق واتسع الطَّريق بعض اتساع بين سنط وزلط واتجه إلى الشمال الشَّرقي وبعد س ٣ و٢٥ ق تناقصت جبال اليسار مع وجود تلول على اليمين وبعد عشر دقائق مرَّ في محجر مرتفع يسير منحدر عرضه عشرة أمتار وبعد ثلاث دقائق في منحدر خفيف يصعد منه إلى أرض بين تلال نحو خمسين مترًا ثم يهبط منه إلى واد بين تلال متجهًا إلى الشمال وهنا تنتهي محاجر المضيق ثم يستوي الطَّريق ويتسع الوادي يسارًا ثم تتباعد جبال اليمين وبعد س ٥ أخذ في هبوط وصعود إلى أرض مستوية وبعد س ٥ و١٥ ق نزل للرياضة وبعد س ٦ سار بين جبال من الطَّرفين في اتساع ٣٠٠ متر وبعد ١٠ ق ضاقت الطَّريق إلى مائة متر ثم إلى ٥٠ وشرّق الرَّكب مارًّا بين تقاطع السلسلة كدائرة ثم اعتدال إلى الشمال الشَّرقي بعد س ٦ و٢٥ ق في اتساع وانخفاض لجبال اليسار وبعد س ٦ و٢٥ ق نزل للمبيت في أرض الحفائر بين الجبال ليأخذ منها المياه إلى المحطَّة التي تليها لعدم وجود ماء فيها وأما هذه الأرض فمبجرد حفرها قليلًا ينبع منها الماء وبعد س ٧ و٣٠ ق من هذا اليوم كانت الحرارة ٣٧ سنتجراد ثم عند الغروب انخفضت إلى ٣٠ درجة وعربان هذه الجهة لا تؤمن.

من أرض الحفائر إلى محطَّة حازا

وفي يوم الخميس ٦ منه س ١٢ و٢٠ ق سار والحرارة ٢١ درجة وبعد س١٢ و٥٥ ق ضاق الطَّريق من كثرة الأحجار والتلال في الجهتين ثم اتسع نوعًا مشرقًا

مبحرًا وبعد س ١ و٤٠ ق مر في زلط كثيرة واتجه إلى الشَّرق وانتهت الجبال وبعد ثلاثة دقائق عاد إلى الشَّرق الشمالي في واد متسع ذي سنط وزلط وبعد السَّاعة الثَّالثة مرَّ على رمل بلا زلط وشجر وبعد ربع ساعة على زلط خفيف بأرض في غاية الاستواء صالحة للطرق الحديديَّة، وفي س ٦ و ٦ ق كانت رياضة، وفي س ٦ و٤٥ ق سار في براح مستوٍ والحرارة ٣٥ سنتجراد وبعد خمس دقائق مرَّ على تلال على اليمين بعيدة موازية للطريق وبعد س ٧ و٣٥ ق انتهت التلال مع بقاء الاستواء وبعد س ٧ و٥٣ ق مرَّ على ثلاثة كيمان [١] يمينًا وتلال خفيفة بعيدة يسارًا وبعد س ٨ و١٠ ق مرَّ على حشائش بالبعد نافعة للدواب وهذا المكان يسمَّى بوادي البركة ومال عن الشمال إلى الشمال الشَّرقي ولاستواء الأرض كان الجمل يسير من ٤٠٠٠ دقائق في رمل وحشيش وبعد س ١٢ و٢٠ ق في بقعة أرض يسارًا منخفضة عن الأرض بمترين مربعة الشَّكل طولها خمسون مترًا كانت بها بركة ماء وهي الآن مردومة [٢] ليس فيها ماء وإنما يحمل الحجَّاج الماء معهم من الحفائر السَّابقة وبعد س ١٢ و٢٥ ق نزل الرَّكب للمبيت.

وفي يوم الجمعة بعد س ١٢ سار والجو بارد والحرارة ٢٧ سنتجراد وبعد ٥ ق مرَّ من محجر معوج عرضه ٥٠ مترًا كثير الزلط يعسر المرور فيه فشرق مغربًا نحو نصف دائرة ثم اعتدل مبحرًا وبعد ١٢ ق أشرقت الشَّمس واتجه إلى الشمال في براح من الأرض مستوٍ مرمل وبعد س ١ مرَّ على حشيش وأخذ الوادي في الاتساع جدًّا وهو صالح للزراعة وبعد س ٣ و٣٥ ق على أرض صلبة وحشيش وبعد س ٦ و٣ ق نزل للراضة وبعد س ٦ و٣٥ ق سار بين الشمال والشمال الغربي في أرض مستوية وبعد س ٧ و٣٠ ق مرَّ على زلط كبير منتشر نحو مائتي متر ثم على رمل وحشيش

(١) كيمان: جمع كوم.

(٢) مردومة: مدفونة.

وبعد ربع ساعة قربت تلال اليمين شيئًا فشيئًا متسلسلة من زلط أسود وكانت الحرارة ٣٤ سنتجراد وبعد س ٩ انتهت التلال وبعد ٦ ق مرَّ في زلط كبير ينتهي بعد ٢٠ ق متجهًا إلى الشمال الغربي وبعد س ٩ و٤٨ ق مرَّ على زلط خفيف ثم رمل وحشيش وبعد س ١٠ و٨ ق مرَّ على تلال متقطعة يمينًا وأخرى على بُعد ٣٠٠ متر يسارًا متجهًا إلى الشمال الغربي وبعد ٤ ق كثر الزلط وبعد س ١٠ و٤٥ ق مرَّ على تلال خفيفة متجهة إلى الشَّرق وبعد س ١١ و١٠ ق مرَّ على تل يمينًا وعلى حشائش ثم زلط ثم حشيش وعبل [١] كثير ثم زلط ثم عبل وحشيش ثم زلط في واد متسع ثم حشيش وهكذا إلى محطَّة حاذا فنزل بها الرَّكب بعد س ٢ و٤٥ ق ليلًا في محل متسع مخطط بقنوات وأحواض للزراعة فيه ثلاثة آبار مياهها عذبة وهناك جبل في أعلاه بناء شبيه بالمرقب أي: المنظرة.

الطَّريق من محطَّة حاذا إلى محطَّة السفينة

وفي يوم السَّبت قبل الشروق كانت الحرارة ١٧ سنتجراد وفي نهاية السَّاعة الأولى سار في أرض خصبة جيدة للزراعة ما بين الشَّرق والشَّرق الجنوبي وبعد ٨ ق مرَّ بأرض سبخة فيها حشائش وكان السير فيها صعبًا من الأمطار وبعد س ٣ كثر السبخ واتجهنا على يسار تلول بعيدة على شكل أهرام وبعد ١٠ ق مررنا على تلال يسارًا ممتدة على محاذاة الطَّريق وبعد س ٣ و١٧ ق مرَّ على زلط خفيف وتل قريب على اليسار ثم على سبخة واتجه إلى الشَّرق س ٣ و٤٠ ق اتجه بين الشَّرق والشَّرق الشمالي وتلال اليمين إلى الجنوب وبعد ٥ ق بعدت وتسلسلت إلى اليسار على امتداد

(١) عبل: هو كل ورق مفتول غير منبسط كورق الأثل والطرفاء، وقيل: هو هدبة إذا غلظ في القيظ، وأصله من الشجر، ورقه لا يهذب ولا يشذب.

الطَّريق في مستوى متسع من الأرض قليل السبخ، وفي س ٤ و٢٥ ق ظهر على اليسار جبل مغرب وعلى اليمين براح [١] واتجه بين الشمال والشَّرق الشمالي في أرض متسعة ممتدة يعلوها سبخ بدون حشيش وبعد س ٥ و٣٠ ق قربت جبال اليسار وبعد س ٦ كانت الرياضة والحرارة ٣٢ درجة وبعد س ٦ و٣٥ ق سار وعن يمينه جبال بعيدة متقطعة وبعد س ٦ و٤٧ ق مرَّ وعن يساره جبل مغربا ثم أكمة [٢] عالية بعيدة تعقبها جبال متسلسلة وبعد س ٨ و٤٠ ق بحر تاركًا عن يمينه أكمتين ممتدتين إلى الجنوب وعن يساره جبال محدقة وبعد ٢٠ ق جبال عن يمينه بالبعد وأمام الطَّريق جبال متقطعة والأرض في جميع سير هذا اليوم سبخة وبعد س ١٠ و٣٠ ق جبل هرمي على بعد ٢٠٠ متر واتجه الطَّريق مبحرًا في أرض بها بعض حشائش وصخور وبعد ٧ ق وجد صعود يسير يعلوه زلط من تلول اليسار الممتدة إلى الغرب المتصلة بجبل اليمين وبعد ١٠ ق هبوط بأرض مرملة، وفي س ١٠ و٤٥ ق كانت راضة وسار بعد س ١١ ثم وصل بعد ١٠ ق إلى مكان المحطَّة لكن لفقد الماء بها استمر على السير في أرض سبخة وبعد س ١١ و٣٠ ق سار في رمل صلب واتساع عن يمينه صخور متكونة من أحجار هائلة وفي يساره بعد ١٥ ق صخور أيضًا تليها على البعد جبال وبراح متسع يمينًا وبعد س ١٢ و٢٠ ق نزل للمبيت بواد متسع ذي أرض صلبة يسمَّى الحبيط.

وفي يوم الأحد ١٠ محرم سنة ١٣٠٣هـ سار بعد س ١٠ وكانت الحرارة ٢٢ درجة ثم انخفضت بعد س ١٢ إلى ١٩ درجة واتجه من الشمال إلى الشمال الغربي في فلاة متسعة سبخة فيها يسير زلط تحيط بها جبال بعيدة والبرد مشتد وبعد ٢٠ ق أشرقت الشَّمس وبعد س ١٢ و٣٠ ق سار في أرض يعلوها ملح كثير وأمامه على

(١) براح: اتساع - منطقة فضاء.

(٢) أكمة: منطقة تجمع رمال وعادة ما تكون مرتفعة على هيئة قبة.

البُعد أكمات هرميَّة وبعد س ١٢ و٥٥ ق خف الملح نوعًا وبعد س ٣ اتجه إلى الشمال الغربي في أرض ذات حشائش وبعد س ٣ و٢٠ ق وصل إلى أحجار كبار على اليسار وبعد ٥ ق إلى أرض حجريَّة مستوية وجبل لطيف متسلسل إلى الغرب وبعد ٥ ق إلى رمل وسنط وبعد ٧ ق إلى أحجار كبار على يساره وجبل هرمي بعيد عن يمينه وبعد س ٣ و٤٠ ق إلى صخر بعضه متساو مع رمل الأرض وبعضه مرتفع وعلى يساره أكمات حجريَّة وعن يمينه أشجار وصخور متقطعة متباعدة عن بعضها بمسافة ومحاذية للطريق وأمامه سلسلة جبال من الشَّرق إلى الغرب وبعد س ٤ استراح وبعد س ٤ و٤٠ ق سار في أرض ذات زلط يسير وبعد ١٠ ق مرَّ على جبال صغار متفرقة عن اليمين وبعد س ٥ و١٠ ق مرَّ على زلط خفيف عند مبدأ جبل مشرق يمينًا وجبال قريبة مبحرة وكانت مسافة السير نحو (٤٠٠٠) متر في السَّاعة وبعد ١٥ ق استراح، وفي س ٥ و٤٠ ق سار وبعد خمس دقائق مرَّ على سنط كبير مسافته ٢٠٠ متر أكثره على اليمين وبعد س ٦ على تل حجري عن يساره وبعد س ٦ و١٢ ق بين سلسلة جبال شرقيَّة غربيَّة وعلى الجانبين تلال مع صعود وهبوط يسيران وبلغت الحرارة ٣٤ سنتجراد وبعد س ٦ و٤٠ ق على تل صغير عن اليمين وآخرين على اليسار ببُعد وبعد س ٧ و٢٥ ق على حشائش متجهًا إلى الشمال الغربي مغربًا على سلسلة أكمات عالية مشرقة مغربة وبعد س ٨ و٥ ق صعد على محجر كثير الزلط مشرقًا نحو ٥ ق ثم اتجه مغربًا تاركًا عن يمينه الجبال في براح من الأرض يعلوه زلط يسير وبعد س ٨ و٢٦ ق مرَّ على سنط على يساره وبعد ٢٢ ق انتهى جبل اليمين وظهرت أمامنا جبال على البُعد مبحرة مغربة في س ٩ وزلط كثير وبعد ٤ ق في هبوط إلى أرض متسعة ذات حشايش وبعد س ٩ و١٥ ق وصل إلى محطَّة السفينة فنزل بها بجوار نخيل وآبار عذبة الماء ومزارع وعشش وسوق معد للبيع والشراء.

الطَّريق من محطَّة السفينة إلى محطَّة الغدير

وفي يوم الاثنين ١١ منه سار س ١٢ و١٥ ق والحرارة ١٧ سنتجراد متجهًا إلى الشمال الغربي تاركًا الجبال عن يمينه وبعد س ١٢ و٤٠ ق صعد في محجر صعب كثير الأحجار وبعد س ١ و١٢ ق انتهى المحجر واتجه مبحرًا وبعد س ٢ و٧ ق مرَّ على زلط بين جبال من الجهتين وبعد ٦ ق صعد وبعد ١٥ ق هبط وبعد ٧ اتجه مغربًا ثم بعد ٧ ق أخرى صعد في ملتقى جبلين وبعد ٨ ق هبط واتجه مبحرًا ثم مال إلى الغرب الشمالي وبعد س ٢ و٥٥ ق انتهى جبل اليسار وظهر غيره متسلسلًا على بعد وحشيش صالح لمرعى الجمال وبعد س ٣ و٣٥ قد اتجه إلى الشمال وبعدت جبال اليمين نوعًا مارًّا بين حشائش وسنط وبعد ٣٠ ق كثر السنط وبعد س ٤ و٢٠ ق مرَّ على زلط ثم حشيش وبعد ٥ ق اتجه إلى الشمالي الشَّرقي عن يمين جبل هرمي بعيد وقلت الجبال من الجهتين وبعد س ٤ و٣٠ ق مرَّ في واد متسع وبعد س ٥ و١١ ق على جبل يمينًا واتجه إلى الشمال وبعد ٩ ق مرَّ في صعود سهل وانعطف إلى الشمال الشَّرقي وبعد س ٥ و٢٥ ق أفضى الصعود إلى واد متسع تاركًا الجبل المار ذكره عن يمينه ومتجهًا إلى الشمال وبعد ٥ ق شرق تاركًا درب الطَّريق المعتاد عن يساره وبعد س ٥ و٣٧ ق مرَّ الرَّكب وعن يمينه جبل متجهًا إلى الشمال في انحدار يسير ذي زلط وبعد س ٥ و٥٥ ق نزل للرياضة وبعد س ٦ و٣٠ ق سار وبعد ٢٠ ق اتسع الوادي وبعد س ٧ مال الطَّريق إلى الشمال الغربي وبعد ٨ ق سار في سبخ ذي ملح وعن يمينه بمسافة ذات بُعد يسير جبل وبعد س ٧ و٣٠ ق سار في سبخ ثم رمل ثم حشائش وبعد س ٨ في سبخ متسع يعلوه ملح وبعد س ٩ انتهى الملح والسباخ وهذه الطَّريق أقصر من الطَّريق السويرجية ولم يمر منها الرَّكب لكون موقعها على اليسار بمسافة كبيرة وبعد س ١٠ و٤٠ ق مرَّ على بعض حشائش وسنط وبعد س

١٠ و٥٠ ق نزل للرياضة وبعد السَّاعة ١١ و٥ ق سار وبعد س ١ من اللَّيل مرَّ بمحطَّة العام الماضي التي لا ماء فيها تاركًا عن يمينه جبالًا متسلسلة إلى الشَّرق وبعد س ١ و٣٠ ق مرَّ في أرض مرملة ذات زلط يسير، وفي س ٢ مرَّ على سنط وحشيش وبعد س ٢ و٢٠ ق نزل الرَّكب في أرض متسعة بها على يسير من البعد جبال ولا ماء بها تسمَّى أرض السويرجيَّة وقد ناله تعب شديد من العربان الجمالة لهزال جمالهم من قلة العلف وفقدهم الحبال الكافية لشد الأحمال ومن كون العشرة من الجمال بل والأزيد ليس لها إلا جمال واحد يتعسر عليه تحميلها وحده فأصحاب الأحمال من عساكر وفراشين وضويَّة وعكامة يحملون جمالهم بأنفسهم وجمال سائر المتوظفين ولولاهم لكان المتوظفون يحملون جمالهم بأيديهم.

الجمالون

ومع هذا يغضب الجمال من أدنى شيء ويسل سيفه على الخدمة فيجتمعون عليه ويأخذون منه السيف قهرًا ويأتوني به فكنت إطفاء للفتنة أسترضيهم للاحتياج إلى أباعيرهم [١] التي لا وجود لغيرها في هذه الأراضي المنقطعة امتثالًا للحديث (رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس) وعملًا بقول بعض البلغاء: [٢] دارهم مادمت في دارهم وأرضهم ما دامت في أرضهم [٣] ولم يمر يوم إلا وترفع إليَّ منهم شكوى على أدنى سبب ومتى أراد أحد من الخدمة الركوب على الجمل الذي عليه متاع قليل تشاجر معه الجمال ومنعه من الركوب وركب هو وترك هذا الخادم ماشيًا ويقول الجمال: إن الجمل جملي وأنا أحق بأن أركب على المتاع من الخادم ولم يرض الجمالون

(١) أباعيرهم: جمالهم.

(٢) البلغاء: جمع بليغ وهو العاقل ثاقب الرأي.

(٣) دارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم: قول مأثور.

بركوب الخدامين إلا بشق الأنفس وبشرط أن يتناوبوا معهم في الركوب ومازالوا ينغصون على الراكب والماشي فلا يبلغ أحد من الحجَّاج أربه منهم إلا بعد كل مشقة ومن الانقياد لأغراضهم الفظيعة فيندم الحاج على السَّفر للحج الذي أحوجه إليهم فكلهم جاعة حفاة عراة ليس عليهم ثياب إلا القمص الرثة وإلا كمار والأردية [١] الحمر وترى الأمراء منهم يتجملون إذا دخلوا البلدان بأفخر الملبوس من مُقصب [٢] ومزركش [٣] وحرير وفي الطَّريق تراه صعلوكًا حافيًا أسوأ حالًا من الفقراء وما منهم إلا من معه سلاح من سيف أو خنجر أو طبنجات ليخيفوا بذلك الركاب ويثبوا على الضعيف وثوب الكلاب وعندهم السرقة شطارة والخيانة إمارة قاتلهم الله أنى يؤفكون.

وفي يوم الثُّلاثاء ١٢ محرم سنة ١٣٠٣هـ سار الرَّكب بعد س ١٢ و٤٠ ق والحرارة ١٩ سنتجراد في واد متسع أرضه ثابتة وفيها حشيش يعلوه زلط خفيف محاط بجبال بعيدة متجهًا إلى الشمال الغربي وبعد س ٢ و٣٠ ق صعد بين جبلين إلى واد آخر متجهًا إلى الشمال عن يمين جبل هرمي وبعد س ٥ مرَّ في محجر مسافته ٣ ق مشرقًا ثم مبحرًا مائلًا إلى الشمال الشَّرقي ثم مبحرًا بين أكمات وزلط وشجر وبعد س ٥ و٥٠ ق بين جبال على الجانبين من الشَّرق إلى الغرب مدة ٦ ق ثم مال قليلًا إلى الشَّرق الشمالي وبعد س ٦ اتجه إلى الشمال الشَّرقي بين تلال حجريَّة وبعد ٣ ق اتجه إلى الشمال وبعد س ٦ و٢٥ مرَّ بالقرب من جبل على اليمين وعن يساره على البُعد جبلان هرميان واستمر في طريق متسعة ذات أحجار صخريَّة وسنط كبير وبعد س ٧ نزل الرَّكب للاستراحة بجوار فحائر ماؤها عذب والحرارة ٣٦ سنتجراد وبعد س

(١) الأردية: جمع رداء.

(٢) مُقصب: مطرز بخيوط ذهبية وفضية.

(٣) مزركش: ملون ومزخرف.

٧ و٥٠ ق سار وبعد س ٨ و٩ ق مرَّ في محجر يسير ثم في سنط كثير.

مخاطر الطَّريق وهجوم العربان

وبعد ١٠ ق هاجت الجمال والعساكر وشاع في الرَّكب أن العربان نزلت من الجبال أواخر الحجَّاج فنهبوا جملًا وقتلوا مقومًا وعسكريًّا فتقهقر أحد المدافعين إلى وراء ثم انكشف عن أن الشَّريف الذي ندبه سعادة شريف مكَّة ليحمينا ويمنعنا من إيذاء العربان إلى أن نصل المدينة بقي جالسًا بجانب إحدى الحفائر حتى سار الرَّكب وغاب عن العيون فنزلت عليه العربان من الجبل المجاور لهذه الحفائر (الذين من دأبهم اتباع القوافل والمحامل في الخفية مدة خمسة أيام فأكثر ليسلبوا من يتأخر منهم ماله وجماله التي لا يتركونها ولو ماتت ليسلخوا جلودها) وحالًا أطلقوا الرصاص على هجين لهذا الشَّريف فقتلوها وسلبوا أخرى مع حملها ففر إلى جهة الرَّكب على هجين آخر وتلاحق به أتباعه وعدوا السَّلامة غنيمة فحمدوا الله على نجاتهم وحكوا [1] ما جرى لهم مع أن وظيفة هذا الشَّريف هي حفظ الرَّكب من هؤلاء الأعراب وحراسته من هذه الذئاب فقلت:

سلب الذي قد قلدوه محاميًا ... للركب حتى صار تحتحمايته

ومن هذا المعنى مثل قول العوام:

طلعت تجري يا مغرور ... لأجل كيد الرجالة
أخذوا طقيتك يا مسكين ... وجيت برأسك عريانه

(١) حكوا: أخبروا، من حكي.

ذكر قبيلة اللهبا

كما وأن قبيلة من العرب تسمَّى اللهبا ما بين رابغ والمدينة حرفتها السرقة والنهب قديمًا ويتبعون القوافل من مكَّة إلى المدينة ذهابًا وإيابًا ويختفون نهارًا في الجبال وفي اللَّيل يسرقون الحجَّاج وبعد انقضاء الحج يبيعون سرقتهم من الأمتعة الثمينة بأدنى قيمة ومن عاداتها إذا تزوج منهم أحد يمهل زوجته بالمهر إلى آخر موسم الحج ليدفعه من سرقته وبعد س ٩ و٥٠ ق سار الرَّكب في محجر ذي زلط كبير كثير واتجه مبحرًا بين جبال قريبة من جهة اليمين وبعيدة من جهة اليسار وبعد ٥ ق زلط صغير وبعد س ١٠ و٦ ق مرَّ الرَّكب في محجر متسع وجبال كالسَّابقة وبعد ١١ ق اتجه إلى الشمال الغربي مارًّا على زلط كثير وبعد س ١٠ و٣٥ ق اتجه مغربًا في واد متسع وبعد س ١٠ و٥٥ ق كثر الشجر ووصل إلى مهبط ذي انحدار ومنه إلى مصعد من محجر إلى أحجار كثيرة بين تلال منخفضة المسير منها مستصعب ممتدة ومائلة إلى الجنوب الغربي وصعوبة المشي من تراكم الأحجار واعوجاج الدرب وبعد س ١١ و٢٠ ق سهل الدرب نوعًا وبعد ١٠ ق مرَّ من مهبط صعب حجري إلى خور وقبل مصعد أو لولا عدم الأمطار؛ لكان السير خطرًا وبعد ٨ ق انتهى الصعود واتجه مغربًا في أحجار كثيرة ذات اتساع كبير بين جبال وبعد س ١٢ نزل الرَّكب للمبيت بمحطَّة الحجريَّة الكثيرة الحجارة أسفل جبل بعيد عن الآبار بربع ساعة.

وفي يوم الأربعاء ١٣ منه سار س ١٢ و٥٠ ق مبحرًا في سنط وعن يساره جبال وبعد س ١ و٥ ق اتجه إلى الشمال الشَّرقي في أرض متسعة ذات جبال على اليسار

وبعد ٥ ق بحر في براح [١] ذي زلط يسير وبعد س ١ و٤٠ ق مرَّ على أشجار كثيرة وبعد ٢٠ ق على زلط كبير كثير مسافته خمسون مترًا متجهًا بانحراف إلى الشمال الشَّرقي وبعد س ٢ و١٠ ق انتهت الجبال واتسع الوادي في أرض مستوية صلبة متجهًا تقريبًا إلى الشمال عن يسار السنط وبعد س ٣ مرَّ في سنط كثير مع الميل تارة إلى الشَّرق الشمالي وبعد س ٤ و٢٥ ق في سنط وعن يمينه أكام من الزلط وبعد س ٤ و٥٨ ق على أحجار سود متسلسلة من الشَّرق إلى الغرب وبعد س ٥ و٦ ق انتهت الأحجار وبعد ٧ ق مرَّ وعن يمينه أحجار وسنطة إلى براح وبعد س ٥ و٢٠ ق إلى زلط مسافته كبيرة ثم إلى براح وسنط عن اليمين وبعد س ٥ و٤٥ ق إلى براح مستوٍ خال من الشجر وبعد ٨ ق إلى زلط منتشر وسلسلة مشرقة مغربة وبعد س ٦ انتهى المرور والهبوط منها وبعد ٣ ق مرَّ في واد به حشيش وبعد س ٦ و١٥ ق استراح وكانت الحرارة ٣٢ سنتجراد وبعد س ٦ و٤٧ ق سار وعن يساره تل عال وخلفه جبال بعيدة مبحرة وبعد س ٧ و٥ ق صار التل المذكور عن يمينه واتجه السير إلى الشمال قريبًا من أحد الجبال المذكورة في أرض مرملة ذات حشائش وبعد س ٨ و٤٣ ق مرَّ على شجرة سنط كبيرة منفردة ذات اليمين وبعد ٥ ق على تلال من زلط شبيهة بجسر على ذات اليسار بعضها متجه إلى الغرب وبعضها إلى الشمال وبعد س ٩ و٣٥ ق مرَّ على تلال على اليمين متجهًا إلى الشمال الغربي وبعد ٥ ق على تلال عن اليسار وعلى جبال ذات اليمين بعيدة في أرض ذات رمل ثابت وبعد س ١٠ على جبل عن اليمين مشرقًا وبعد س ١٠ و٣٠ ق نزل للمبيت عن يسار تلال بمحطَّة غرابة في واد متسع مجرد عن المياه ومياه هذه الطَّريق باردة كلها تحمل الشارب على تناول مقدار كبير منها لاحتوائها على أملاح كيماويَّة كالصودا وكبريتات الباريتا [٢]

(١) براح: أرض فضاء، متسع.

(٢) باريتا: باريوم Baryte.

وهي لزجة ولا ترغي الصابون ما عدا مياه وادي الليمون ومياه الحجريَّة وبعد س ٩ و٣٠ ق من اللَّيل سار وبعد س ١١ و٣٠ ق مرَّ على تلال عن اليمين وبعد س ١٢ حط لصلاة الصبح وبعد ٣٠ ق سار متجهًا إلى الشمال الغربي.

وفي يوم الخميس س ١ و٢٥ ق مرَّ على حشيش كثيري وبعد ٢٥ ق اتجهت جبال اليمين إلى الشَّرق وعلى اليسار جبال بعيدة وبعد س ٢ و١٠ ق مرَّ وعن يساره تلال منخفضة وبعدت جبال اليمين وبعد س ٢ و٣٠ ق ابتدأت عن اليسار تلال متجهة إلى الغرب وبعد دقيقتين اتسع الوادي وبعد س ٣ و٢٠ ق صعد يسيرًا على تلال مستحجرة وبعد ٥ ق انحراف الاتجاه مغربًا بين تلال ثم اعتدل إلى الشمال الغربي وبعد س ٣ و٣٥ ق مر بين تلال عن اليمين وجبال عن اليسار مقبلة وبعد ٥ ق بين سلسلة جبال في أرض متسعة فيها زلط كثير وبعد ٥ ق أخرى ابتدأ عن اليمين جبل مبحر وعن اليسار براح وبعد س ٤ نزل الرَّكب للرياضة وبعد س ٤ و٣٥ ق سار إلى الشمال الغربي إلى براح في أرض سهلة صلبة واتسع الوادي وتباعدت الجبال وكانت الحرارة ٣٣ سنتجراد وبعد س ٦ و٤٥ ق مرَّ على تلال عن اليسار متسلسلة إلى الغرب وبعد س ٧ و٣٠ ق تقاربت التلال وبعد س ٩ و١٥ ق مرَّ وعن يمينه جبل على بعد ٢٠٠٠ متر متسلسل إلى الشَّرق وبعد س ١١ و٥ ق مر وعن يمينه جبل وبعد ١٠ ق مرَّ بين جبال متسلسلة من الشَّرق إلى الغرب ترى من بعد خمس ساعات لاستواء الأرض متجهًا بين الغرب والشمال الغربي وبعد س ١٢ اتجه إلى الشمال ثم إلى الشمال الشَّرقي ثم بعد ١٠ ق إلى الشمال الغربي بين جبال في أرض يعلوها زلط وبعد س ١٢ و٤٠ ق مرَّ في انحدار متناسب وتعطفت [1] الطَّريق على حسب الجبال ثم في محاجر وبعد س ١ من اللَّيل اتجه إلى الغرب وبعد س ١ و٤٠ ق نزل للمبيت بمحطَّة الغدير المسمَّاة بالخنق أيضًا بواد متسع بين جبال وهناك على بُعد

(١) تعطفت: انحرفت.

ستة دقائق بركة من ماء المطر في سفل جبال من الصخر طولها مائة متر وعرضها عشرة أمتار تمتلئ من قناة بين جبلين ماؤها عذب يرغي الصابون.

الطَّريق من محطَّة الغدير إلى العنبريَّة

وفي يوم الجمعة ١٥ محرم بعد س ١ و٢٥ ق سار مغربًا تقريبًا ثم اتجه إلى الشمال الغربي بين جبال تارة إلى الشمال وتارة إلى الغرب وبعد س ١ و٥٠ ق اتجه إلى المغرب وبعد ١٠ ق بين الشمال والشمال الغربي في متسع نوعًا مع الاستواء وبعد س ٢ و٣٠ ق تارة إلى الغرب وتارة إلى قبلي وبعد ١٠ ق سار في صعود سهل إلى أرض مستوية فيها عن اليمين جبال متجهًا بين الغرب والقبلي الغربي وبعد س ٣ و١٥ ق استقام إلى الغرب وبعد س ٣ و٣٥ ق هبط في محجر بين جبلين وبعد س ٤ سار في زلط كثير وهبط إلى واد ذي زلط عن اليسار وبعد ١٥ ق اتجه إلى الشمال الغربي على أحجار منتثرة في جميع الوادي فلولا آثار الجمال لصعب المرور من هذه الطَّريق جدًّا لا سيما مع الأمطار وبعد س ٤ و٤٥ ق انحرف بين الشمال والشمال الغربي وقلت الأحجار ثم بعد ١٥ ق كثرت وبعد س ٥ و٨ ق هبط إلى منخفض صعب لكثرة أحجاره وهذا الوادي يسمَّى الحادة وبعد س ٥ و٤٠ ق اتجه إلى الشمال الغربي في أحجار كثيرة مع هبوط قليل وبعد س ٦ و١٥ قد اتجه إلى الغرب على جبل كبير مبحر عن آخرين وبعد س ٧ مرَّ في منحدر خفيف وعن يمينه تل وبعد ٧ ق صعد قليلًا إلى سطح متسع وبعد س ٧ و٢٥ ق انتهت الأحجار وهبط إلى أرض مرملة تعرف بغدير الأغوات ذات شجر من السنط وبعد س ٧ و٣٠ ق كانت راضة والحرارة ٣٨ سنتجراد وبعد س ٨ و١٥ ق سار وبعد ٢٠ ق عبر على تل خفيف وبعد س ٨ و٥٧ ق على خور متسع أرضه ثابتة ذات استواء تصلح للزراعة وبعد ٥ ق صعد في محجر صعب إلى أرض كثيرة الأحجار وبعد س ٩ و١٣ ق هبط إلى رمل وزلط متجهًا إلى

الغرب على جبل أُحُد وبعد س ٩ و٣٠ ق وصل إلى هبوط يسير وبعد س ٩ و٤٨ ق وصل إلى صعود وبعد س ١٠ و٥ ق اتجه بين الغربي والقبلي الغربي وبعد س ١٠ و٢٠ ق إلى القبلي الغربي عن يمين جبال بعيدة وظهرت لنا قبة الحرم النَّبوي ومناراته وبعد س ١١ و١٨ ق سار بين تلال وبعد ١٥ ق بين جبل أُحُد عن اليمين وجبل صغير عن اليسار وبعد س ١٢ و١٠ ق مرَّ على عدة آبار متجهًا إلى الجنوب الغربي وبعد ٥ ق نزل للمبيت بعيدًا عن مسجد سيِّدنا حمزة.

وفي يوم السَّبت س ١ و٢٠ ق وصل إلى قريب منه ثم انعطف إلى اليسار حتى بلغ أمام باب المدينة المسمى بالعنبريَّة س ٣ و١٥ ق ونزل بمكانه المعتاد والعساكر الشاهانيَّة مصطفة على جانبي الطَّريق خارج الباب لاستقبال المحمل ومسيقاها [١] تتغنى بكل الألحان والأنغام فرحًا بالوصول إلى أرفع مقام.

وصول المحمل المدينة المنوَّرة

وفي صبيحة يوم الأحد س ٢ دخل المحمل المدينة النَّبوية واكبًا من باب العنبريَّة محاطًا بالخيالة وأمامه العساكر الشاهانيَّة وعساكر المحمل وموسيقاها في غاية الانتظام وأهل المدينة فرحون بذلك ومسرورون السرور التام والمحمل يتبختر تبختر العروس فيشرح بمرآه الصدور ويسر النفوس حتى وصل المناخة كما هي عادته في كل عام فأطلق الطوبخانة أحد عشر مدفعًا للسلام وعند دخوله من الباب المصري ترجل [٢] كل راكب إجلالًا لصاحبه وقام كل قاعد ومرَّ في شارع المدينة والبخور أمامه صاعد حتى وصل إلى باب السَّلام فاستلم شيخ الحرم سعادة عادل

(١) مسقياها: موسيقاها.

(٢) ترجل: سار على رجليه.

باشا من المحاملي الزمام وأناخه أمام العتبة التي تحيا بالقبل فرفع المحمل من على الجمل وأدخل الحرم الشَّريف إلى محله المعتاد في كل عام فرفع عنه متوظفوه كسوته وحملوها وعليهم الجبب البيض والعمائم مع غاية التأدب والاحتشام حتى أدخلوها حجرة المصطفى فتكاملت لهم بزيارة قبره عليه الصَّلاة والسَّلام المسيرة وعمهم الصفا وخرجوا بعد زيارة سيد الأنام حامدين شاكرين للملك العلام على ما منَّ عليهم به من جزيل هذا الإنعام.

حوادث النهب في الطَّريق من مكَّة إلى المدينة

وفي يوم الاثنين والثُّلاثاء جرى صرف المرتبات بتكيَّة المدينة وهي مجاورة لباب العنبريَّة عن يسار الداخل من هذا الباب وقد ذكرت صفتها في رحلتي المسمَّاة بمشعل المحمل وكانت الحرارة ٢٩ سنتجراد صباحًا و٣٠ ظهرًا وبلغني أن المتوجهين من مكَّة إلى المدينة مع جمالة الحوازم الذين مقومهم مساعد والأحامدة الذين مقومهم المعلى بلغهم لما وصلوا إلى وادي فاطمة أن الطَّريق بالأشقياء من العربان مقطوع فأرادوا إلى مكَّة الرجوع فمنعهم المقومون وخيلوا لهم أن الأمر بخلاف ما يظنون وأشاعوا أن الطَّريق قد سلكت وأن العربان قد اصطلحت وخدعوهم بهذا المقال لئلا يطالبوهم متى رجعوا بم دفعوه إليهم مقدمًا من أجر الجمال فتخيب آمالهم وتتعطل عن المكاسب جمالهم ولما اطمأن الركاب إلى هذه الأقاويل واغتروا بزخارف هذه الأباطيل ساروا حتى وصلوا إلى وادي فاطمة وأوقعهم الحصر بين هاتيك الجبال في مخالب الأمة الظالمة تواترت الأخبار بأن الطَّريق قطعه الشَّيخ محسن وأن التأخر والتقدم صار غير ممكن فعند ذلك تشوشت

(١) من الرَّكب الأفكار وتوقعوا حلول الأخطار وودوا لو أمكنهم الفرار من هؤلاء الفجار ولو مع سلب أحمالهم ونهب سائر أموالهم ولم يجدوا من يخاطبونه في هذا الشأن من هؤلاء اللئام ومكثوا على هذه الحالة ثلاثة أيام ثم سمحوا لهم بالمرور بشرط أخذ ريال عن كل جمل مما معهم من الجمال وكانت هذه الجمال غير يسيرة فتحصلوا بذلك على أموال كثيرة وكذا حصل منهم عند الوصول إلى عسفان إلا أنهم لم يأخذوا عن الجمل الواحد إلا نصف ريال في هذا المكان وقد غصبوا فضلًا عن ذلك من الأغنياء الذين في الرَّكب نحو ٦٠٠ ريال مع ما كانوا فيه من الرعب وتشتت الأحمال وفقدهم لغالب أمتعتهم وتأخرهم نحو أربعة أيام عن المواقيت وإتلاف الأنفس وتحكم الجمالة المماقيت (٢) وسلب الذخائر وتطاول هؤلاء السفلة على من في الرَّكب من الأكابر فقد كان من جملتهم حضرة محرم بك أبي جبل وحرم المرحوم فاضل باشا وغير من ذكر من الأعيان الذين وقعوا تحت أسر هؤلاء العربان بل الغربان وبعد الوصول إلى المدينة شاع هناك هذا الخبر فكم كتبوا في شأن ذلك من محضر وما أفاد ولا أثمر وقد بلغني أنه قبل الحج حضر من الآستانة مفتش عن أحوال العساكر والأهالي بمكَّة والمدينة ومعه ماهيات العساكر ثلاثة أشهر وصرف لعساكر مكَّة وتوجه إلى المدينة من الطَّريق الشَّرقي وبصحبته أربعة من العساكر البيادة أعني: البيشة أي: الهجانة فسلبوا منه ماهيات عساكر المدينة بالطَّريق ثم عاد من المدينة مع القافلة المتوجهة إلى مكَّة للحج وقبل وصوله إليها بمرحلتين تباعد عن خيمته لإزالة ضرورة قبل العشاء فوقع ميتًا برصاصة ولم يعلم قاتله فاتهموا من معه من العساكر وسجنوهم بقلعة جياد بمكَّة ومحافظ المدينة الآن أحمد باشا فاضل برتبة فريق وكان مريضًا فتوفي بعد قيامنا من المدينة بشهر وشيخ الحرم النَّبوي سعادة

(١) تشوشت: يقصد انشغلوا بالأفكار وتوجسوا الخطر وهمسوا سرا.

(٢) المماقيت: تعبير يقصد به الكره الشديد (ممقوت) أي مكروه.

عادل باشا برتبة مشير ومدير الحرم أحمد نظيف أفندي برتبة متمايز وأما الأغوات فنائب الحرم وخازنداره ومستلمه وشيخ أغواته و٥٠ رئيسًا و٢٦ رديفًا [١] للرؤساء و١٢ مشدًّا للحجرة النَّبوية و٥١ كناسًا للحرم وأما البوابون فهم ١١ والسقاءون ١٠ ومنبر الحرم مصنوع من الرخام في غاية الإتقان والهندام بعث به إليه المرحوم السلطان سليمان.

مكارم أهل المدينة

وأما أهل المدينة فهم الأخيار وأهل الانكسار وناهيك بتلك المنقبة التي هي بهم خاصة ومن وصفهم في القرآن بأنهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة [٢] ومن العوائد [٣] الجارية عندهم في الضيافات والولائم بدون تحاش من معترض ولائم أن الضيف يعرف مجلسه المختص به على حسب مقامه المعلوم ورتبته فكل قاعة ليوانان [٤] يجلس الضيف في ركن أحدهما أو صدره على حسب جلالة رتبته ونباهة قدره ولا حاجة للمضيف إلى الدلالة والتعريف حيث إن ذلك بينهم معلوم لدى أهل الخصوص والعموم وفي المدينة الخضارات والفواكه اللذيذ جناها وأنواع التمر التي لا توجد في بلد سواها وناهيك بمقال سيد الأنبياء ما بين لأبتيها شفاء.

---

(١) رديفًا: تابعًا.

(٢) خصاصة: بمعنى الفقر والحاجة.

(٣) العوائد: العادات.

(٤) ليوانان: منصتان.

obeikandl.com

الإيرادات المرتبة للحرم النَّبوي

أما الإيرادات المرتبة للحرم النَّبوي من الآستانة ومصر فهي مبلغ ١٠٥٠٠٠ غرشًا ثمن أقة زيت عدد ١٨١٥٥ يخص مصر منها ٤٤٥٩ أقة وباقيها من طرف الآستانة وقمح ٨٧٨٨ أردت باسم جراية الصدقة يرد إليه من مصر ترتيب المرحوم السلطان سليم لكل من السادة والخدمة والأهالي فضلًا عن مرتبات وأوقاف من جهات أخرى.

واعلم أن المدينة معدودة من بلاد نجد الأول وخيبر من نجد الثَّاني وحائل الذي بالشَّرق من نجد الثَّالث المسمى بجبل شمر المقيم به ابن الرشيد وقبيلته وعرب عنترة تابعون له ونجد الرَّابع القصيم ونجد الخامس الرياض الذي منه الدرعيَّة بلد ابن سعود فيصل الوهابي.

وفي يوم من الأيام حضر لدي بالمدينة ثلاثة من الأعجام يشكون من وكيل قنصلاتهم الذي بالمدينة ومن الجمالة المقومين لأنهم طلبوا منهم أجرة خارجة عن الحد لكونهم من الأعجام ورغبوا إليَّ في التوجه مع المحمل من طريق الوجه فتخابرت مع الوكيل المذكور فأظهر الرضا بذلك بشرط أن يدفعوا إلى العربان من الأجرة ما هو برسم الأخوة المعتادة من قديم الزمان وأخبرني أن تعريفة مشال العجم عند العربان من مكَّة إلى المدينة ٧٥ ريالًا لجمل الشقدف وللراكب ٣٠ وللعصم ١٠ وللمتاع [1] ٧ ومنهم من دفع عن الشقدف الواحد من ينبع إلى المدينة

(١) المتاع: في مختار الصحاح بمعنى «السلعة» وهنا يعني الممتلكات.

١٢ جنيهًا ويزعم العرب أن هذه الأجرة هي مرتب الخوة [١] وفضلًا عن ذلك أن الوكيل يأخذ عن كل شخص ريالًا بل أكثر والمقوم ريالًا أيضًا في مقابلة تشهيل المشال وكذلك المزور ريالا وما عدا الأعجام فإنه يدفع عن الجمل الواحد من مكَّة إلى المدينة ١٨ ريالًا فقط ومن المدينة إلى الوجه سبعة عشر ريالًا ويدفع للمزور المقسوم [٢] وقد أخذ من هؤلاء الأعجام عن كل جمل من المدينة إلى الوجه ٤٠ ريالًا من ضمنها رسم الخوة أي: الأخوة على اصطلاحهم هذا مع ما يقاسيه الأعجام في الطَّريق من العربان الجمالة من الذل والنهب والسلب وإتلاف الأنفس والأموال فلأجل ذلك لما وصلوا معنا سالمين إلى السُّويس اعترفوا لنا بالجميل وأظهروا لنا المنونيَّة [٣] والشكر الجزيل؛ لأن ما حصل لهم معنا من الرَّاحة في السَّفر مغاير لما قاسوه في طريق توجههم من مكَّة إلى المدينة من الكدر.

عادات وأحوال القَرامطة

وبالبُعد عن المدينة بساعة قبيلة النخوليَّة من ذريَّة العجم تجتمع بهم العجم مدة الحج ومن عاداتهم نكاح المتعة ويضربون موتاهم قبل الغسل على الفم والوجه ويوصونهم بعدم ذكر الشَّيخين عند سؤال الملكين كما بلغني من السَّيد حسين بمكَّة، وهؤلاء الطائفة المعروفون بالإسماعيليَّة وليس هذا من العجيب بل الأغرب ما ذكره بعض المؤرِّخين أنه ظهر بصنعاء اليمن سنة ٢٩٣ شخص يسمَّى على بن الفضل القرمطي من اليمن كان صاحب مذهب خبيث ودين مشئوم ادعى النبوة وارتكب محظورات الشرع وكان يؤذن في مجلسه: أشهد أن علي بن الفضل رسول الله، وأباح

(١) الخوة: بمعنى التآخي.
(٢) المقسوم: المتفق عليه.
(٣) المنونية: الامتنان.

لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات وسائر المحرمات، وكان عنوان كتابه من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده فلان، وكان ينشد على المنبر بصنعاء:

خذي الدف يا هذه واضربي ... وغني هذاذيك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم ... وهذا نبي بني يعرب
أحل البنات مع الأمهات ... ومن فضله زاد حل الصبي
وقد حط عنا فروض الصَّلاة ... وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي ... وإن أمسكوا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا ... ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك الناكحين ... من الأقربين أو الأجنبي
فلم ذا حللت لهذا الغريب ... وصرت محرمة للأب

وهي طويلة حلل فيها سائر المحرمات لعنه الله، ولعن مذهبه وهلك مفصودًا مسمومًا في سنة ٣٠٣ لعنه الله ومدة محنته وكفره تسع عشرة سنة.

وفي كل من يوم الأربعاء ٢٠ والخميس ٢١ محرم صرفت المرتبات وكانت الحرارة وقت الزَّوال ٣٠ سنتجراد وصلينا الجمعة في الحرم ونزلت آخر النَّهار الأمطار والحرم النَّبوي طوله ١٥٥ ذراعًا معماريًّا وعرضه ١١٥ ذراعًا.

وفي يوم السَّبت ٢٣ منه كانت الحرارة صباحًا ٢٨ سنتجراد وفي الزَّوال ٢٩.

وفي يوم الأحد ٢٤ في السَّاعة ٣ أخرج المحمل من الحجرة النَّبوية ووكب كما دخل حتى أتى العنبريَّة وحضر أهل المدينة ليلًا إلى الخيام للتفرج على الشنك والصواريخ فشربوا الشربات ثم عادوا ممنونين متشكرين للحضرة الخديويَّة المصريَّة.

خروج المحمل من المدينة

وفي يوم الاثنين ٢٥ منه كانت الحرارة صباحًا ٢٧ سنتجراد وفي الزَّوال ٢٨ سنتجراد، وفي س ٩ وكب المحمل وسار محفولًا بعساكره مارًّا أمام باب العنبريَّة والعساكر الشاهانيَّة مصطفة على الجانبين تشريفًا لقيامه والموسيقى تضرب بالألحان المطربة إلى أن انعطف على اليمين عن يسار سور المدينة في طريق سبخة غير صالحة للزراعة.

أماكن المياه العذبة

وفي س ١٠ وصل إلى بئر (رومة) أي: بئر سيِّدنا عثمان رضوان الله عليه وعلى الصحابة أجمعين التي وقفها صدقة على المسلمين فنزل هناك للمبيت وماء هذه البئر عذب جدًّا والأراضي المجاورة لها مزروعة وبين بئر رومة والوجه من المحطَّات محطَّة الضعيني وبها بئر ماؤها ملح وبينهما مسافة ٩ س والعربان المقيمون بها من جهينة وحرب ثم محطَّة النصيف المسمَّاة بالمليح أيضًا وبها فحائر [1] عذبة الماء والمسافة بينها وبين التي قبلها ٨ س و٢٠ ق وعربانها من عربان التي قبلها ثم السجوة بعد السَّاعة ٨ وعربانها من جهينة ثم الآبار حلوة بعد مسافة ٩ س و٤٥ ق وبها خمسة آبار عذبة الماء وعربانها من جهينة أيضًا وبعدها إلى الفقير عربان عنزة ثم بعد مدة ٩ س و٤٥ ق النقرات وعربانها من جهينة وبلى ثم بعد مقدار ٧ س الفقير وعربان جهة منها من جهينة وفيها فحيرات في طريق عنزة ثم بعد س ١٢ و١٠ ق العقلة والعربان منها إلى الوجه من بلى ثم محطَّة في الفلاة بعد س ١٠ و٣٠ ق ثم

(١) فحائر: مستنقعات.

الخوثلة بعد س ٩ و٢٠ ق ثم بعد ١٤ س و٢٥ ق محطَّة أم حرز ثم إلى الوجه بعد س ٧ و٥ ق.

في الطَّريق من المدينة إلى الوجه

وفي يوم الثُّلاثاء ٢٦ منه سار صباحًا بعد س ١ و١٥ ق وكانت الحرارة ١٨ درجة متجهًا إلى الشمال الغربي وبعد ٢٥ ق إلى جبال على الجانبين واتجه إلى الغرب في أرض مستوية وبعد س ١ و٥٣ ق اتجه إلى الشمال الغربي ثم الغرب ثم اعتدل ثم غرب وبعد س ٣ و٤٥ ق متر على زلط بين جبال وبعد س ٥ و٥٥ ق نزل للرياضة وبعد س ٦ و٣٥ ق سار متجهًا إلى الشمال الغربي بين جبال تارة قريبة وتارة بعيدة وكانت الحرارة ٣٠ درجة ثم اتجه إلى الغرب وبعد س ٨ اتسع الطَّريق مع استواء الأرض وصلاحيتها لسير العربانات وشوهد أمامنا من البعد قطعة أرض مرملة بين جبال سود كأنها قطعة قماش منشورة على أعلى الجبل وبعد س ١ نزل الرَّكب للمبيت بمحطَّة (الضعيني) بجوار بئر مالح فبلغني من شخص يسمَّى أحمد ناجي من تجار خان الخليلي صحبنا من المدينة ليتوجه من هذه المحطَّة إلى ينبع من طريق السعاة مع اثنين من العرب كان استأجرهما من ينبع ليحضرانه إلى المدينة ليزور ثم يوصلانه إلى ينبع ثانيًا وأخذ منهما الضمانات على ذلك لأنه قد كان توجه في ٧ محرم من مكَّة إلى جدَّة مع قافلة من الجاوا وغيرهم تحتوي على ٢٠٠ جمل ومعها نحو ٥٠ نفرًا من العساكر خوفًا من العربان فلما وصلوا لحدة بلغهم أن العربان هجموا في اللَّيلة الماضية على قافلة قريبًا من بحرة فنهبت منها نحو عشرين جملًا وقتلت منها شخصين فلم يصدهم هذا القول وتقدموا بالنظر لوجود العساكر معهم ولكثرتهم ولما أتوا بحرة لم يجدوا بها أحدًا من العربان فجدوا في السير حتى صاروا بين بحرة وقهوة العبد في س ٣ من اللَّيل.

هجوم العربان على قافلة من الجاوا

فلم يشعروا إلا والعربان قد هجمت على مقدم القافلة بالويل وارتفع من القافلة الضجيج وصارت الجمالة يدافعون النهابة بالعصي والسكاكين ولولا العساكر وإطلاقهم السلاح الناري منعًا لهم من التقدم إلى الرَّكب لأتوا على سائر القافلة بالقتل والنهب وصار هؤلاء اللصوص يطلقون على العساكر أسلحة ناريَّة ليمنعوهم من التقدم إليهم ليتمكنوا من توزيع ما نهبوه من الجمال والأحمال فوق رءوس هاتيك الجبال ثم انصرفوا عن القافلة المنهوبة بعد حوزهم الأموال المسلوبة فانكشف الغبار عن ثمانية من الحجَّاج ومثلهم من الجمالة مقتولين سوى من وجد بعد هذه المعركة من المجروحين وقد قطع الأشقياء التلغراف الموصل من جدَّة إلى مكَّة لقصد الفساد ومكث من كان في القافلة بجدَّة بعد وصولهم إليها نحو عشرة أيام حتى جاء وابور وحملهم إلى ينبع وأنزلهم بها ليكمل هناك حمولته وكان فيها وابورات متعددة ومن متأخري الحجَّاج نحو ٣٠٠٠ منعهم من ركوبها غلو الأجرة وعدم المقدرة فقد ارتفعت أجرة الشخص الواحد من جدَّة إلى السُّويس فبلغت ثلاثة جنيهات ونصفًا بعد أن كانت سبعة فرنقات من السُّويس إلى جدَّة ولا شك أن هذا من الظلم الذي تجاوز في الأذى حده فحصل لهم عطل كثير وضرر من التأخر كبير وكاد أغلبهم من المشقة يموت وباعوا أمتعهم لأجل القوت منتظرين أن يرحمهم قابودانات الوابورات ولا يأخذوا منهم في مقابلة الأجرة هذا المبلغ الكبير الذي كان طلبه منهم سببًا في التأخير وقد تيسر له العودة إلى جدَّة ومكَّة في را سنة ٣٠٣ وسألت عن هذا الخبر فقيل: إن العربان قد سطوا على قافلة بالقرب من بحرة فأرسل من مكَّة عساكر لتأديبهم وتشتيتهم فاقتفوا أثر هؤلاء الأشرار وأسقوهم كئوس الدمار وأتوا برأسي اثنين منهم إلى مكَّة عبرة لغيرهم.

الطَّريق من محطَّة المليح

وفي يوم الأربعاء ٢٧ منه سار الرَّكب بعد س ١ من النَّهار وكانت الحرارة ١٧ سنتجراد في أرض متسعة بين جبال متجهًا إلى الغرب وبعد س ٢ و٢٥ ق إلى الشمال الغربي في البقعة التي كان يتراءى من البعد أنها قطعة قماش منشورة لارتفاعها عن الأرض السالفة وهي أرض مستوية ذات حشائش وبعد س ٦ كانت رياضة وبعد س ٧ سار، وفي س ٨ بلغت الحرارة ٣١ سنتجراد وبعد جبال اليمين وكثر الحشيش وبعد س ٩ و٤٥ ق نزل بمحطَّة (المليح) في بقعة متسعة سهلة فيها فحائر عذبة الماء عمقها عن سطح الأرض نحو متر وعند غروب شمس هذا اليوم شكا حريمي [١] مغصًا شديدًا فسهرت معها طول ليلي في معالجتها.

وفاة زوجة محمَّد صادق

وفي يوم الخميس ٢٨ محرم س ١٢ سار الرَّكب وسكن المغص الذي كانت حريمي تشكو منه غير أنها لم تزل في تعب ولم يتأت لنا المكث لمسير الرَّكب وبعد س ١ قربت جبال اليمين وأشرقت الشَّمس وبعد ١٠ ق تقاربت جبال اليسار وبعد س ٢ اتجه إلى الغرب في أرض متسعة ذات أشجار بين الجبال وبعد س ٢ و٤٥ ق درب على اليمين مبحرًا وبعد س ٣ و١٠ ق تقاربت جبال اليسار وبعد دقيقتين سار في مصعد متسع وبعد س ٣ و٣٠ ق انحدر إلى هبوط وبعد س ٤ اتجه إلى الشمال الغربي في واد متسع ذي حشائش كثيرة وعلى اليمين جبل قريب وظهر على البعد جبل فوقه بناء كالطابية يُعرف بقصر عبلة وبعد س ٥ و٤٥ ق نزل للرياضة في أرض ببحريها

(١) حريمي: يقصد بها زوجة محمد صادق.

بئر على بعد نحو ساعة ولم أزل أتردد على حريمي لأنظر في حالها وما يلزم لصحتها من العلاج وبعد س ٧ سار في واد متسع وبعد س ٩ و١٥ ق في زلط وظهرت من البعد قلعة الشامي على اليمين وهي من أعلام طريق الحج الشامي وبعد س ١٠ مر بجبل على اليسار وهو قصر عبلة المار ذكره وبعد س ١٠ و٤٥ ق بتل صغير على اليسار وعلى بُعد جبال وعلى اليمين جبال أيضًا متجهًا إلى الشمال الغربي في أرض سهلة وبعد س ١١ و٤٥ ق نزل بمحطَّة (السجوة) في أرض متسعة صالحة لسير العربانات لا ماء فيها وبت طول اللَّيل متكدرًا مشغولًا بأمر حرمتي وبعد السَّاعة السَّابعة ونصف توفاها الله إلى رحمته ونقلها إلى فسيح جنته، وقد كانت أفاض الله عليها سجال الرضوان وعاملها بالإحسان وكساها حلل الغفران تقيَّة صالحة محسنة عشنا معًا في أرغد عيش نحو ٣٤ سنة، ومن إكرام الله تعالى لها أن وجد في الحج مغسلة وبعد تجهيزها والصَّلاة عليها وضعت في صندوق صنع لها في الحال وسُير نعشها إلى المدينة الشَّريفة على بعض الجمال مع خمسة من العربان والخدام للدفن هناك في البقيع الذي دفنها به كان لها غاية المرام فإنها وصلت إلى المدينة يوم السَّبت بعد العصر الذي هو ثاني يوم وفاتها ودفنت بجوار قبة آل البيت الكرام عليهم بعد النَّبي أفضل الصَّلاة والسَّلام طيب الله ثراها وأكرم مثواها.

رثاء وتحسر

ومن فرط حزني على فقدها وأسفي على بُعدها نظمت أثناء الطَّريق بعضًا من الأبيات على سبيل الرثاء لها والتحسر على ما من حسن عشرتها فات فمن ذلك قولي وكان اسمها ألفا رحمة الله عليها وعلى والديها:

هنيئًا للدفينة بالبقيع ... جوار المصطفى الهادي الشفيع
فيا ألفا التي حجت وزارت ... رقيت لغاية الدرج الرفيع

ويـــا مـــولاي جـــد بـــالعود حتـــى أزور ضريـح مـن كانـت ضـجيعي

غيره

الوجـــد يـــزداد يـــا ألفـــا بـــذكراك لـولا مـا نـاح جفنـي اليـوم لـولاك
فارقـــت دار الفنـــا في عفـــة وتقـــى وارحمتـــاه لقلـــب لـــيس يـــسلاك
أبكـــي عليـــك بكـــاء لـــيس أقطعـــه مـــا دمـــت حيًّـــا أعـــز الله مثـــواك
قـــد فـــزت بالـــدفن في أرض البقيـــع كـــما قـــد حـــزت عفـــوًا مـــن الـــرَّحمن مـــولاك

التَّاريخ

الـــــست ألفـــــا الـــــشهيدة حجـــــت وزارت ولبـــــت
في ليـــــل (كـــــط) محـــــرم مـــــن عـــــام (غـــــشج) توفـــــت

٢٩ ١٣٠٣هـ الموافق (١٨٨٦م).

الطَّريق من مفرق الدرب الشامي إلى محطَّة الفقير

وبعد س ٢ و٢٠ ق من يوم الجمعة ٢٩ محرم سار الرَّكب وأنا مع التأسف والحزن على ما تم وعم جميع من فيه المأتم وبعد س ٦ و٢٠ ق وصل إلى مفرق الدرب الشامي حيث على الجانبين جبال وبعد س ٦ و٤٥ ق نزل للراضة وبعد س ٧ و٢٥ ق سار صاعدًا بين جبلين إلى واد وبعد س ١١ و١٥ ق نزل للمبيت بمحطَّة آبار حلوة قريبة من جبل وبها آبار عذبة الماء.

عرب عنزة

وفي يوم السَّبت بعد س ١٢ سار إلى الشمال الغربي مارًّا من طريق أخرى لعرب عنزة بحري الطَّريق المعتادة التابعة لعرب جهينة الصعبة السلوك لسبخها وسيولها بخلاف هذه والتي تليها من جهة اليمين فإنهما ينسبان إلى عرب عنزة المقيمين بناحية الشام المخالفين للسنَّة الذين يتزوجون بالنساء ثاني يوم طلاقهن ولا يعتبرون العدة [١] وبعد س ١ و١٠ ق سار في واد متسع ذي حشائش وعن يمينه تلال وعن يساره جبال متسلسلة بعيدة وبعد س ٣ و٤٠ ق مرَّ على جبل على اليسار منفرد وسط الوادي وبعد س ٥ اتسع الوادي طولًا وصارت الأرض مرملة مستوية وبعد س ٦ كانت راضة بوادي الحمض والطَّريق المعتادة خلف جبال اليسار وهي مسكونة بأعراب جهينة المحرمين أكل لحوم الأرانب المعتقدين أن قسمة نحو عود من الحشيش أو خوصة بين الزوج وولي الزوجة هو عقد النكاح وبعد س ٦ و٥٠ ق سار في واد متسع مستوٍ ذي حشائش متجهًا إلى جبل هرمي قبلي الجبال على بُعد وبعد س ٩ و١٠ ق مرَّ على أحجار وبعد س ١١ و٥ ق على تلال عن اليمين وأحجار منتشرة وعند آخرها نزل للمبيت في س ١١ و٣٠ ق بأرض سبخة ذات حفائر عذبة المياه ولذا تسمَّى (بالحفائر) ومياه هذه الطَّريق في أغلبها لزوجة وبها بعض ملوحة ويغلب فيها وجود الصودا كما يغلب على مياه الطَّريق الشَّرقي وجود الصودا وكبريتات الباريت، وفي يوم الأحد غرة صفر سنة ١٣٠٣هـ بعد س ١ سار إلى الغرب الشمالي وبعد س ٢ سار في أرض مستوية صلبة وإن كانت سبخة وبعد ١٠ ق كثر السباخ والملح وبعد س ٢ و٣٥ ق في عبل بكثرة وبعد س ٣ و١٥ ق في

(١) هذا الكلام يسري على جهلة تلك القبيلة ممن يجهلون أصول الدين الحنيف.

سبخ ومجاري مياه كثيرة يصعب المرور منها عند نزول السيل وبعد س ٤ و٣٠ ق قل العبل وبعد س ٥ مرَّ بجبل هرمي أسود عن اليمين وسط الوادي وبعد س ٥ و٤٥ ق أتى على ملح وعبل وبعد س ٦ و١٥ ق نزل للاستراحة وبعد س ٦ و٥٠ ق سار من طريق سبخة يعلوها ملح أبعد بساعتين من طريق النقارات الكثيرة السبخ والسيل الذي يصعب ويشق المرور وبعد س ٧ و٣٠ ق مرَّ بتل أسود على اليسار وسط الوادي وعلى اليمين بعد مسافة تلول وبعد س ٧ و٥٥ ق نزل بمحطَّة (الفقير) تحت جبال بأرض سبخة بها فحائر عذبة الماء.

الطَّريق من محطَّة الفقير إلى محطَّة الخوثلة

وفي يوم الاثنين ٢ صفر بعد أخذ مياه لثلاث مفازات لعدم المياه العذبة إلى محطَّة الخوثلة سار بعد س ٤ و٢٥ ق في طريق بواد مستوٍ ذات رمل ثابت محاطة بالجبال وبعد س ٨ و١٥ ق قربت جبال اليسار واتجه إلى الشمال الغربي وبعد س ٩ و٣٠ ق مرَّ من منفذ بين جبلين عرضه ٢٠ متر وطوله ١٠٠ متر ثم اتسع الطَّريق وبعد س ٩ و٥٠ ق مرَّ ببناء منهدم الغالب أنه كان قلعة من القلاع المبنيَّة قديمًا وقد تركت من عهد بعيد لعدم أهميتها وبعد ١٠ ق نزل للاستراحة وبعد س ١٠ و٣٥ ق سار وبعد س ١١ و٢٠ ق مرَّ على أشجار سنط وبعد س ٢ و٣٠ ق من اللَّيل نزل للمبيت بين جبال وبعد س ١١ سار متجهًا بين القبلي والقبلي الشَّرقي ثم إلى القبلي.

وبعد س ٢ و١٥ ق من يوم الثُّلاثاء وصل إلى جبل أمامه وانعطف عنه يمينًا متجهًا إلى الغرب بين جبلين وبعد ٥ ق نزل بمحطَّة (العقلة) بجوار بئر مالح وبعد س ٦ سار بين الغرب والشمال الغربي في أرض متسعة سهلة ثم غرب والجبال من الشمال إلى الجنوب وبعد س ١١ اتجه إلى الشمال الغربي وبعد ١٥ ق مرَّ في متسع بين

جبلين، وبعد س ٢ و١٠ ق من اللَّيل نزل للمبيت بين جبال في مكان ليس به ماء وبعد س ١١ و٣٠ ق من اللَّيل سار وبعد ١٥ ق مرَّ من مضيق إلى متسع.

وبعد س ١٢ و٥٠ ق من صبيحة يوم الأربعاء كثر العبل ولعدم استواء الأرض تعسر السير ليلًا وأيضًا لكثرة الحجارة فلم يمر إلا جملان جملان [1] فقط في أغلب المواضع وبعد س ١ و١٠ ق خف ذلك واتسع الطَّريق وبعد س ١ و٤٥ ق وجد اتساع مع استواء بين الجبال وبعد س ٢ اتجه من الشمال الغربي إلى الغرب وبعد س ٣ مرَّ بمحجر على اليسار وبعد س ٤ بأشجار وحفرة فيها ماء على اليمين بخيف الجبل وبعد ١٠ ق نزل للاستراحة وبعد س ٥ و٤٠ ق سار متجهًا إلى جبل شاهق أمامه على البُعد ذي هرمين أسفله محطَّة (الخوثلة) وبعد س ٧ بعدت جبال اليسار وبعد ٤٠ ق متر بتلال على الجانبين وبعد س ٩ و٣٠ ق بجبل على اليمين من الشَّرق إلى الغرب ثم بجبال على الجانبين وحشائش في أرض مستوية وبعد س ٩ و٥٥ ق اتجه إلى الغرب وبعد س ١٠ و١٠ ق مرَّ في أحجار ذات صعود يسير ثم هبوط وبعد عدة انعطافات على حسب الجبال اتجه إلى الغرب وبعد ١٠ ق مرَّ بجبال قليلة الارتفاع وبعد س ١٠ و٢٥ ق مرَّ بين جبلين في عرض سبعة أمتار وطول ١٠٠ متر ثم في متسع وبعد ١٠ ق مرور آخر وصعود ثم هبوط ثم صعود بين تلال ثم هبوط وهكذا تارة يمر الجمل وتارة الجملان في هذه المحاجر بين الصعود والهبوط والمضيق والاتساع والانعطاف إلى س ١٠ و٥٣ ق ثم اتجه مغربًا في طريق متسعة مرملة سهلة وبعد س ١١ و١٠ ق صعد إلى محجر لم يمر منه إلا الجملان فالجملان ثم هبوط ثم صعود من محجر آخر ثم هبوط إلى متسع بعد س ١١ و٣٧ ق صعد إلى محجر ثم هبط بصعوبة ثم اتجه إلى الشمال الغربي بين جبال وبعد (١٣ ق) ثلاث عشر دقيقة من الغروب اتجه للغرب وبعد دقيقتين نزل للمبيت بجوار جبال بأرض ليس بها ماء

(١) جملان: مثنى جمل، يقصد جمل وجمل.

فصار الرَّكب في شدة الضنك [١] من فقده إلى س ٢ من اللَّيل حتى جاء السقاءون به من محطَّة الخوثلة وكانت على نحو ربع ساعة بين مكان المبيت فشربوا حينئذٍ وسبب عدم الوصول إليها ليلًا هو مرض الأمير وعدم ثبات قول الدليل.

محطَّة الخوثلة

وفي يوم الخميس ٥ منه بعد س ١ سار وبعد ربع ساعة نزل بمحطَّة (الخوثلة) في أرض متسعة فيها تسعة آبار عذبة الماء جدًّا وبها سوق يباع فيه التمر والغنم واللبن الرائب والرز والبقصمات وقابلنا الشَّيخ سليمان شيخ قبيلة بلى التي مبدأ دركها [٢] من هذه المحطَّة إلى الوجه ليخفر [٣] المحمل كما هي العادة وأقمنا هناك يومنا وبعد س ٩ من اللَّيل سار آخذًا معه ما يحتاجه من المياه إلى محطَّة الوجه مارًّا من محجر خفيف ثم عبل.

الطَّريق من الخوثلة إلى مينة الوجه

وبعد س ١٢ و١٥ ق من صبيحة يوم الجمعة مرَّ في متسع من جبال ذي رمل مستو وبعد ٢٠ ق نزل للرياضة ولصلاة الصبح وبعد س ١ و١٠ ق سار بين الغرب والغرب الشمالي وبعد س ٢ و١٥ ق في أرض بها سنط تعرف بالمحشرة وجبال خفيفة عن اليمين وبعد س ٣ و٤٥ ق انتهت جبال اليمين واتسع الوادي باستواء واتجه إلى جبلين غربًا وثلاث أكمات يمينًا متفرقة على البعد في امتداد الطَّريق وبعد

(١) الضنك: الضيق.

(٢) دركها: المناطق التابعة لها.

(٣) يخفر: من خفر وهو المجير، تقول خفر الرجل أي أجاره وكان له خفيرًا يمنعه.

س ٦ نزل للرياضة وبعد س ٧ و١٠ ق سار وبعد س ٧ و٣٥ ق صعد إلى سطح مرتفع غير مستوٍ متجهًا إلى الشمال الغربي وبعد س ١٠ و٥٥ ق صعد إلى سطح متسع وبعد س ١١ نزل للمبيت في مكان ليس فيه مياه وبعد س ٩ و١٠ ق من اللَّيل سار وبعد س ١١ هبط بين أكمات وبعد س ١٢ و١٠ ق نزل لصلاة الصبح.

وفي يوم السَّبت ٧ منه سار بعد مضي ٤٠ ق من النَّهار بين أكمات ذات اعوجاج وازورار متجهًا إلى الشمال الغربي وبعد س ١ مرَّ على جبال صغيرة عن اليمين وتلال متسلسلة عن اليسار وبعد س ١ و٥٥ ق مرَّ بين صخور صغيرة مع صعود يسير وبعدت الجبال والتلال وبعد س ٢ و٢٥ ق مرَّ على أحجار وعلى اليمين تلال وبعد ١٥ ق مرَّ من بين جبلين صغيرين ثم تسلسلت التلال يمينًا ثم بعدت وفي الأمام على بُعد جبل يسارًا وبعد س ٣ و٢٥ ق ظهر البحر على بُعد وبعد س ٣ و٥٥ ق مرَّ في صعود يسير على تل ثم هبوط بعد دقيقتين وبعد س ٤ و٧ ق على رمال خلفها الجبل المار ذكره وبعد س ٥ في براح [١] متسع مستوٍ إلى البحر وبعد س ٧ في أرض مرتفعة يسارًا تؤخذ منها أحجار للبناء وبعد ١٣ ق مثل ذلك يمينًا.

مينة الوجه

وعلى اليسار تل وبعد س ٧ و٤٠ ق نزل بجوار (مينة الوجه) وكان بها الوابور المسمى بالمنصورة [٢] منتظر الرَّكب ليوصله إلى السُّويس وهذه المينة المذكورة عبارة عن سوق مستطيلة على يسارها دكاكين وقهاوي على البحر وعلى يمينها سطح

(١) براح: فضاء.

(٢) المنصورة: اسم السفينة.

مرتفع به بعض بيوت وطابية [١] فيها أربعة من الطوبجيَّة وستة أنفار بيادة ومدفعان من الحديد من الطرز القديم وكان بها برج قديم ثم هدم والآن جاري بناؤه بمقاولة ٢٢٥٦ جنيه وارتفاعه عن سطح البحر اثنا عشر مترًا ونصف وعن القاعدة ستة أمتار والمدفعان أحدهما جبلي والآخر قبوس وبهذه المينة ١٢ طوبجيًّا ماهية كل منهم ٢٢٠ قرشًا ومن البيادة ٣٤ بماهية ١٣٠ مكفي للنفر وبلوكباشي واحد وأسطة طوبجيَّة واحد بماهية ٥٠٠ قرشًا وجميعهم من الأهالي وماهياتهم تصرف لهم من مصر في كل ستة أشهر وعدد الأهالي نحو ألف نفس من القصير وينبع والوجه والصعيد وبها محافظ بوظيفة صاغقول أغاسي وبها من الصهاريج خمسة يملؤها السيل يحمل الماء منها إلى محطَّة ضبا وإلى القصير وهناك آبار بقلعة الجبل على مسافة ساعتين وأربعة آبار على مسافة ثلاثة ساعات ماؤها قيسوني صالح لشرب الدواب وفي بيوتهم صهاريج تمتلئ من السيل أيضًا وبالبعد عن قلعة الجبل بنحو ١٥ ق في الجهة الشَّرقيَّة حفائر عذبة الماء جدًّا وبها ثلاثة جوامع وزاويتان [٢] و١٥٠ منزلا مبنيَّة منها ما هو دور واحد وأغلبها دوران.

حادثة قَتل

وفي صباح يوم الأحد توجَّهت مع الأمير إلى وابور المنصورة لرُئية أماكنه وترتيبها للمتوظفين على حسب درجاتهم وعندما عدنا وجدنا شابًّا من الحجَّاج السائرين صحبة المحمل قتل غلامًا صغيرًا فقبض عليه وأتي به في الحال إلى خيمة الأمير وقميصه ملوث بدم القتل ومعه سكين ماضية ملوثة بالدم أيضًا فكتب بذلك

(١) طابية: حصن صغير وفي الإنجليزية Fortress.

(٢) زاويتان: مثنى زاوية، وهي المصلى الصغيرة، أصغر من المسجد.

محضر بعد إقرار القاتل بالقتل وهذا المحضر مكون من كل من محافظ البندر وقاضيه ومن المتوظفين وتحفظ على القاتل حتى يصير تسليمه إلى محاكم مصر ليُجازى بمقتضى القوانين وأصل هذا القاتل مسيحي من أقباط مصر اسمه بخوم ميخائيل وسنه نحو ٢٢ سنة وعلى ما قيل: أسلم وخرج للحج خادمًا لإحدى المخدرات المشهورات بمصر وتسمَّى بأحمد أمين وكان مع هذه الست بنتاها وجاريتها ووكيلها وولده الذي قتل وسنه نحو ١٢ سنة وكان أخرج لهذا القاتل في مكَّة إعلام شرعي بإسلامه ولما توجه المحمل إلى المدينة بيومين حضر الوكيل عند الأمير متشكيًا من هذا الخادم ومخبرًا بدينه الأصلي وبأن بينه وبين الست اتحادًا وبأن ادعاءه الإسلام غش فأمر الأمير بمنعه من دخول المدينة لزيارة قبر الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام وقد حصل وبعد قيام المحمل من المدينة إلى طريق الوجه أمر الأمير بتخلية سبيله وأن يمنع من مخالطة خيمة سيدته فلما وصلوا إلى الوجه أراد القبطبي الانتقام من الوكيل فاغتال ولده خلف إحدى الخيم في س ٣ من النَّهار فكفاه على الأرض واحتز[1] رأسه بالسكين فقطع على الفور نصف عنقه فمات حالًا وكان بالقرب منهما شخصان سمعا صرخة القتيل فأقبلا لإغاثته فوجداه قد مات فشدَّا وثاق القاتل إلى أن عدنا من الوابور وعمل المحضر كما ذكرنا وقد اتهم هذا القاتل سيدته بأنها هي التي أغرته بذلك وأن إحدى بنتيها أعطته السكين وجاريتها أمسكته له من يده ورجله ليقتله ذبحًا لكن ظهر كذب دعواه في مساعدة الجارية له على ذلك لأن الشخصين الشاهدين المذكورين شهدا بأنه قتله وحده ولما وصلوا إلى مصر سُلِّم القاتل إلى محكمة مصر ليحاكم فيها.

(١) احتز: من (حزز) أي قطع.

الطَّريق من الوجه إلى الطور

وفي يوم الاثنين ٩ صفر حضر قبودان الوابور فأعطى لغير أرباب الوظائف الذين مع المحمل تذاكر بالأجرة عن السَّفر في الدرجة الأولى ٤ جنيهات وما عداها اثنين جنيه ثم تنازلت إلى٢ بنتو وعن الجمال ٥ جنيهات وعن الخيل والحمير ٤ جنيهات وبعد الزَّوال نقلت المهمات إلى الوابور ثم الركاب وانتهى ذلك قبيل الغروب وكان به من الركاب ٢٠٠ نفر بالأجرة و٤٠٠ تبعة المحمل وخيول ٤٤ وفقراء ٤٨ مجانًا.

وفي يوم الثُّلاثاء ١٠ صفر بعد س ٢ سار الوابور من الوجه قاصدًا الطور.

مينة الطور

وفي يوم الأربعاء بعد س ٢ و٥٠ ق مرَّ على أشجار نخل يمينًا على شاطئ البحر وتراءت بلدة الطور من البُعد وبعد س ٣ و٦ ق ضربت مدافع السَّلام من الوابور وبعد س ٣ و١٥ ق أرسا على (مينة الطور)[١] وكان يقطع في السَّاعة الواحدة ٨ أميال وفي الطور على شاطئ البحر جامع وكنيسة ونحو ٢٥ بيتًا سكانها أروام وأربعة أبيات للمسلمين وحمام معدني على مسافة نصف ساعة محاط بالنخيل بناه المرحوم عبَّاس باشا وهناك بلوكباشي واحد وأربعة من العساكر واثنين من الخفراء للسانيتا [٢] ومحل على شاطئ البحر في بعد ثلثي ساعة يسمَّى بالقروم به نخيل وعدة

(١) مينة الطور: بلدة في شبه جزيرة سيناء تطل على خليج السويس.

(٢) السانيتا: أجنبية منقولة عن الإنجليزية Sanita، وتعني صحته وهي هنا بمعنى التنظيم الصحي أو

مساكن لمسلمين من عربان وفلاحين نحو ١٢٠ وفي الجهة البحريَّة موضع يسمَّى مسيعد فيه نحو ٤٠ نفسًا من العربان وفي بحري المينة موضع آخر يسمَّى الوادي به ١٥٠ من العربان وأما الدير الذي على جبل الطور فبينه وبين المينة ١٨ ساعة بالهجين و٥٦ بالجمال.

في الحجر الصحي

وفي زمن الحج يحجزون الحجَّاج عند عودتهم في هذه المينة لأجل الكرنتينا[١] ويحضر إليها من مصر حكيم [٢] ليقيم بها مدة الحج ومحل الكرنتينا في أرض براح مرملة بعيد عن شاطئ البحر فيه اسبتالية [٣] وبناءان [٤] معدان للمخازن بالبعد عنهما بألف متر زمالك [٥] من الخشب من أربعة كبار واثنان صغيران جميعها خرب يمر الريح منها كيف شاء وبالبعد عنها بنحو مائتي متر ألف خيمة مضروبة قبابها سليمة ودوائرها بالية ممزقة من جميع جوانبها يمرض الصحيح إن بات بها في ليالي الشتاء لا سيما إن نزل المطر وهذه الخيام مرتبة صفًّا صفًّا وبين الصف والذي بعده مسافة تختلف وذلك لينزلوا عند مجيء الوابورات جماعة كل وابور بخيمة متباعدة عن غيرها من الخيم متى ورد إلى هناك وابور أو وابوران أو ثلاثة في أيام متعاقبة ويأخذون عن كل نفس ريالًا مجيديًّا مقننًا وأربعة قروش في مقابل التعدية من

المصحة.

(١) الكرنتينا: الحجر الصحي.

(٢) حكيم: طبيب.

(٣) اسبتالية: مستشفى وأصلها إنجليزي Hospital وتعني أيضًا ملجأ خيري.

(٤) بناآن: مبنيان.

(٥) الزمالك: عشش من الخشب على هيئة أكشاك.

الوابورات ذهابًا وإيابًا إلا المستخدم والفقير جدًّا ومتى زادت الكرنتينا عن ٤٨ ساعة زاد المقنن على حسب تلك الزيادة وفي العام الماضي لما أتى وابور المحل إلى هذه المينة لم ينزل من ركابه أحد ومكث المدة وأخذ الشهادة من الحكيم وتوجه إلى السُّويس وأما في العام فحكيم الكرنتينا المسمى باللَّيلي تلياني [1] البلدة أمر بإنزال جميع الحجَّاج من أمير وفقير حتى الحريم ولم يترك بالوابور إلا عساكره ونحو خمسة عشر نفسًا لخدمة الخيول فترجاه الأمير أن يبقيه مع حريمه وبعض المتوظفين النازلين في الدرجة الأولى فإنه أبقى به بعضًا من الحجَّاج لخدمة الخيول وأيضًا عند محافظ السُّويس أوامر بإبقاء نحو خمسين شخصًا في كل وابور فأبى بالكليَّة وأنزل من كانوا في الوابور جميعًا فيا ليت شعري ما فائدة الكرنتينا إذا اختلط بعد انتهاء مدتها من نزلوا إلى البر بمن بقي في الوابور ثم عادوا معًا إلى السُّويس وأيضًا فقد أقام بالزمالك بعض المتوظفين وبعضهم أقام بالخيام وقد كان قبودان الوابور يتردد منه إلى من في الكرنتينا بلا حرج ومن العجائب أنه صار منع المقيمين بالخيام من الاجتماع بمن في الزمالك مع أنهم من وابور واحد وقد توجَّهت من الزمالك إلى الخيام وما منعني أحد لا في الذهاب ولا في الإياب ووجدتها على أسوء حال من هبوب الرياح فيها من جميع الجوانب ومن كونها عرضة للبرد فضلًا عن أنها لا تقي من أحد وشممت داخل بعضها نتن جيفة فأخبرت الحكيم بذلك فأمر بنقل الخيمة وأخبر بأن هذا المكان مقبرة فتعجبت من السانيتا كيف تنصب الخيام المعدة للصحة على العفونات والقاذورات وتفتخر بأنها أدت وظيفتها السنيَّة وقامت بواجبات الصحة العموميَّة والحال هو ما شرحته فإن الحقيقة أن بعض الحجَّاج الذين تقدمونا توفي أحدهم أثناء الكرنتينا فدفنه أصحابه سرًّا داخل الخيمة وقد أشيع وبلغني من عبد الحميد أفندي معاون مأموريَّة الكرنتينا أن شخصًا مستخدمًا بالسانيتا أخذ هو

(١) تلياني: طلياني نسبة إلى إيطاليا.

وحكيم الكرنتينا من قومندان وابور شبين أحد عشر جنيها على سبيل السمسرة في مقابلة نزول بعض الحجَّاج من وابور يسمَّى راجي كريم إلى وابوره ولا يخفى أن هذا مخل بالشرف.

الانتقال من الحجر الصحي إلى السُّويس

وفي يوم الجمعة ١٣ صفر بعد س ٦ و٣٠ ق رخص للحجاج في النزول إلى الوابور فنقلت القطائر جميعهم إليه وبعد س ٩ سار. وبعد ٣٠ ق من صباح يوم السَّبت ١٤ ص وصل إلى مدينة السُّويس وبعد السَّاعة الأولى أرسا وبعد س ٤ و٣٠ ق حضر الحكيم وأتباعه فأمر بفك الكرنتينا ثم أرسا الوابور على الرصيف وأخرج ما فيه من المهمات وحرر إلى مصر تلغرافًا بطلب إرسال عربات السكة اللازمة لنقل المحمل وأتباعه فحضرت إلى السُّويس قبل الشروق.

عودة المحمل من السُّويس إلى العبَّاسيَّة

وبعد س ٤ من يوم الأحد أتت إلى رصيف البحر ونقل بها ما في الوابور وقامت بعد س ٨ ووصلت إلى السُّويس بعد ٢٠ ق فوكب المحمل وطاف بشوارع السُّويس وابتهج به جميع أهلها فرحًا وسرورًا ثم أعيد إلى العربات وبعد س ٣ و٣٠ ق من اللَّيل سار.

وفي يوم الاثنين ١٦ ص بعد السَّاعة واحدة وربع وصل إلى محطَّة مصر بالعبَّاسيَّة فنزل بها بعض الركاب وكان يوم موكب استقبال النيشان الشاهاني الوارد إلى جناب الحضرة الخديويَّة من مولانا السلطان المعظم تأكيد الوثاقة علاقة المودة بينهما فتأخر

موكب المحمل إلى يوم الخميس فوصل فيه إلى ميدان محمَّد علي في جمع عظيم ومحفل جسيم وسلم إلى يد الحضرة الفخيمة الخديويَّة ذات المآثر السنيَّة أطال الله بقاءه وخذل أعداءه آمين بجاه خاتم النَّبيين.[1]

obeikandl.com

(١) إن حديث التوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم موضوع لا أصل له.وقد جاء في سورة الفاتحة {وإياك نستعين} فلا استعانة إلا به سبحانه وتعالى.

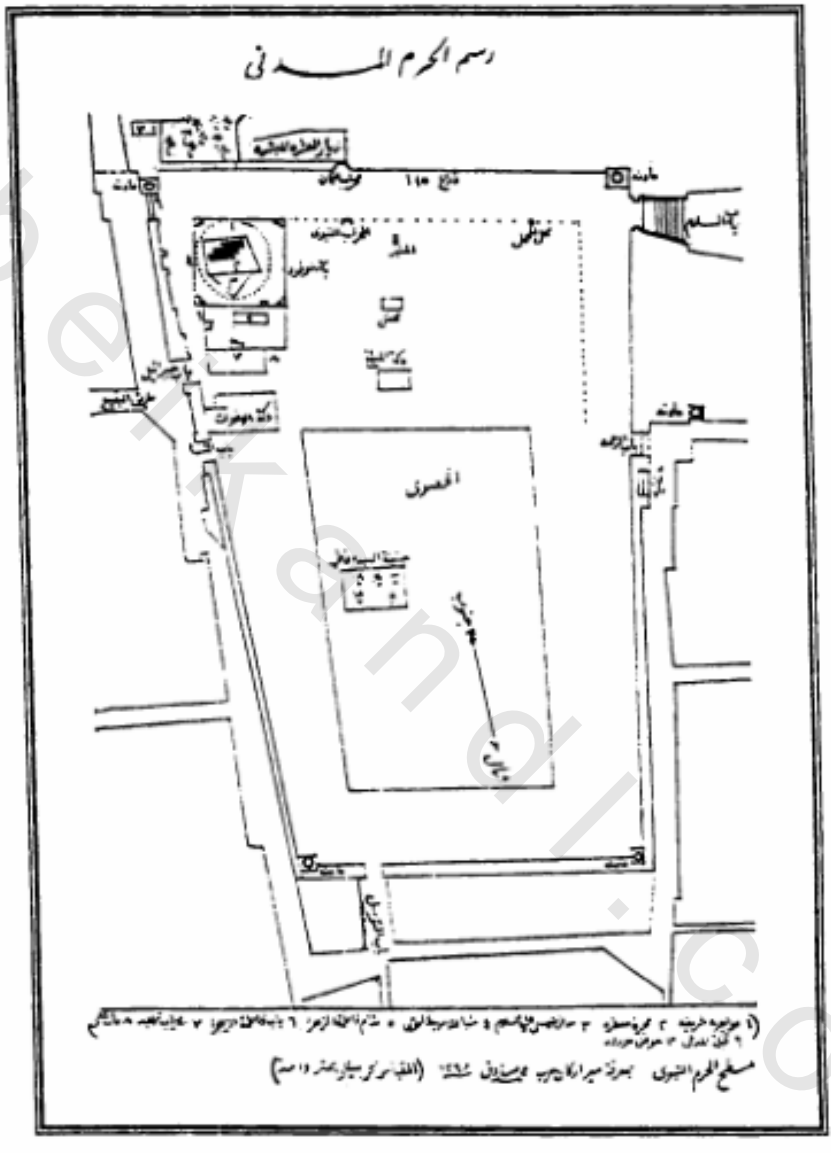
رسم الحرم المدنى
القصرى

رحلة تسليم قمع صدقتي مكَّة والمدينة

وفي شهر (ربيع الأول) سنة تاريخه تعينت من الماليَّة لتسليم قمح صدقتي مكَّة المكرَّمة والمدينة المنوَّرة بجدَّة عن سنة ١٣٠٢هـ أعني: سنة ١٨٨٥م مسيحيَّة المحضر من بومباي بالهند مشترى للحكومة المصريَّة من الخواجة بيل وشركاه وذلك لارتفاع السعر بمصر وكان مقداره ٢٠٧٨٨ أردب [١] وأصل هذا الترتيب من خلافة سيِّدنا عمر رضي الله عنه وكان مقداره مائة ألف أردب بحسب الروايات من ذلك ٦٠٠٠٠ أردب لمكَّة و٤٠٠٠٠ للمدينة ثم انقطع شيئًا فشيئًا وفي مدة السلطان سليم صارت إعادته وكان يصنع خبزًا أقراصًا ويفرق باسم جراية [٢] صدقة على الفقراء وفي مدة المرحوم محمَّد علي باشا استبدل ذلك بتفرقتها حبًّا بدل الأقراص فصدقة مكَّة تبلغ ١٢٠٠٠ أردب وصدقة المدينة ٨٠٠٠ أردب مع زيادة ٧٨٨ أردب في مقابلة مصاريف المشال من ينبع إليها وأما مصاريف النقل إلى شونتي [٣] جدَّة وينبع فتخص الحكومة المصريَّة ومنهما إلى مكَّة والمدينة تخص أرباب الصدقة والأردب المصري بجدَّة يساوي ٥٤ كيلة وذلك على حسب أحجام مكاييل هذه الجهات وأما بمكَّة فيحسبون الأردب ٥٣ كيلة والفرق يجعلونه في نظير العجز الذي يحصل من المشال من جدَّة إليها وقد توجَّهت من السُّويس في ١٢ را [٤] سنة ١٣٠٣هـ ووصلت جدَّة في ١٦ منه صباحًا ومنها توجَّهت إلى مكَّة ثاني يوم على حمير

---

(١) أردب: مكيال ضخم يساوي ٢٤ صاع (والصاع أربعة أمداد، والمد حفنة بكفي الرجل المعتدل الكفين ويساوي قدحا وثلث قدح أو قدحين).

(٢) جراية: مفردة معروفة في الجيش المصري وتعني الخبز.

(٣) شونتي: مفردها شونة، وتعني صومعة أو مخزن لحفظ الغلة.

(٤) را: اختصار لشهر ربيع الأول.

الأجرة بدون لجام [١] ولا ركاب كما هي العادة في ظرف اثنتي عشرة ساعة منها ساعة ونصف استراحة بالمحطَّات وأما الجمل فيصل بعد ٣٣ ساعة من ذلك ١٠ س إقامة في محطَّة (حدَّة) بالحاء وتشديد الدال.

ذكر ثورة عربان بني إبراهيم

ورأيت من العساكر الشاهانيَّة نحو طابور أعني: خمسمائة نفر ومدفعًا واحدًا متوجهين إلى جدَّة ثم إلى ينبع البحر لإطفاء الثورة التي قامت بها من عربان بني إبراهيم فإنهم هجموا على السجن وأطلقوا منه شخصين وقتلوا أربعة من عساكر الضبطيَّة وفي اليوم الثَّاني تقابلت مع سعادة والي الحجاز عثمان باشا نوري وسعادة أمير مكَّة الشَّريف عون الرفيق وقد بلغت الحرارة في هذا اليوم ٢٢ درجة ريومور ودعاني سعادة الشَّريف إلى وليمة أجراها بقصر المرحوم حسين باشا الشهيد بالهجيليَّة بطريق جدَّة بعيدًا عن مكَّة بثلثي ساعة فتوجَّهت مع سعادة الوالي في ١٩ منه صباحًا وكان هناك بعض من الشرفاء والضابطان والأعيان وجرى إطلاق بعض من المدافع بالكلل للتجربة في ميدان متسع أمام القصر وكانت الموسيقى العسكريَّة والنوبة التركيَّة يترنمان بجميع الألحان وبعد العشاء والعشاء أطرب العود والقانون كل مشتاق ولهان وكانت ليلة بهجة سرت قلوب الحاضرين وانصرفوا في منتصف اللَّيل حامدين شاكرين وفي صباح ٢٠ منه بعد السَّاعة الثَّانية فتح بيت الله الحرام للغسل كما هي العادة السنويَّة في ٢٠ را و٢٠ القعدة فدخل سعادة الشَّريف وسعادة الوالي وخمسة من المتوظفين والفقير وصلينا عدة ركعات في كل الجهات ثم غسلنا

(١) اللجام: الحبل الذي يوضع على وجه الحمار أو الحصان أو الجمال للتحكم في سيره وتوجيهه وهي كلمة فارسية.

جميعًا أرضيَّة الكعبة بماء زمزم دفعات ثم بماء الورد بمقشات من الخوص [١] وبعد ذلك ضمخنا الحيطان إلى ارتفاع اليد بأنواع العطر ودهن الورد بقطع من البفة صار تفريقها على الحاضرين والبخور صاعد من ند [٢] وعود والند مركب من عود وقشر عنبر وسنبل طيب أجزاء متساوية تدق ناعمًا وتمزج بماء الورد ورسراس وتجفف بعد التحبيب ثم بعد انتهاء الغسل صار تلاوة الدعاء وخرجنا حامدين شاكرين للتوفيق لهذه السعادة الكبرى منحها الله لجميع المسلمين ومن العادة مواسم تفتح فيها الكعبة للزائرين منها في عشر المحرم للرجال وليلة الحادي عشر للنساء ومنها ليلة ١٢ را للدعاء للسلطان بدون أن يدخلها أحد وفي صبيحة تلك اللَّيلة للرجال وفي ليلة ١٣ للنساء وفي ٢٠ منه غسل الكعبة بحضور الشَّريف والوالي ومنها أول جمعة من رجب للرجال وفي ثاني يوم للنساء وفي ليلة ٢٧ للدعاء للسلطان بدون أن يدخلها أحد وصباحًا للرجال ومساء للنساء ومنها ليلة النصف من شعبان للدعاء ويوم النصف صباحًا للرجال وثانية للنساء ومنها يوم الجمعة الأولى من رمضان للرجال وثانية للنساء وليلة ١٧ للدعاء وآخر جمعة كذلك ومنها في نصف القعدة للرجال وثانية للنساء وفي ٢٠ منه تغسل الكعبة وفي ٢٨ منه إحرامها أعني: إحاطتها من الخارج بقماش أبيض من الأسفل إلى ارتفاع مترين وقد تفتح فتحًا خصوصيًّا لبعض الأعيان وفي ثاني يوم عدت إلى جدَّة وعند حضور الوابور من بومباي بقمح الصدقة صار نقل القمح منه بواسطة فلايك [٣] إلى البر ثم إلى الشونة وتلك الفلايك تسمَّى سنابك والمفرد سنبوك وأجرة مشال الأردب من الوابور إلى البر ومنه للشونة قرشان بعملة جدَّة وجرى إعمال المعدل بها بواسطة القادوس [٤] والكيل المصري

(١) الخوص: مكانس تصنع من أوراق سعف النخيل.

(٢) ند: عود يتبخر به.

(٣) الفلايك: (تصغير فلك) وهي السفينة الصغيرة.

(٤) القادوس: مقياس تكييل.

بحضور قومسيون [١] تشكل لذلك يكون التسليم والتسلم للأهالي بموجبه وتحررت الشروط اللازمة عن ذلك وعند انتهاء التسليم أعطيت السند اللازم إلى وكيل المتعهد بالمقدار الوارد بالشونة كالأصول وسيق مرتب مكَّة إليها شيئًا فشيئًا على حسب وجود الجمال وأما حصة المدينة فصار نقلها إلى ينبع على مرات بوابورات البوسطة الخديويَّة ثم توجَّهت ثانيًا إلى مكَّة مع ثلاثة من عساكر جدَّة بمبلغ ٧١٧٥ جنيه مصري بدل ثمن قمح متأخر من مرتب سنة ١٣٠١هـ لمكَّة والمدينة باعتبار كل أردب جنيه مصري واحد وكانت الأمنية انتشرت بالطَّريق بسبب وضع عساكر للخفر في جميع المحطَّات من جدَّة إلى مكَّة لمنع تعدي العرب على المسافرين كما قد حصل بعد الحج وشتتهم العساكر وقطعوا رأسين من هؤلاء العرب وأرسلوهما إلى مكَّة عبرة لغيرهم وبوصولي إلى مكَّة أجريت تسليم الجنيهات إلى سعادة الوالي كأمر الماليَّة وصار تفرقة حصة مكَّة لأربابها وأخذت سندًا ودفترًا بذلك وقد اشتد البرد ليلًا حيث صادف ذلك شدة الشتاء بتلك الجهات وبلغت الحرارة ١٤ درجة ريومور ثم عدت إلى جدَّة وركبت وابور البحر وتوجَّهت إلى ينبع للنظر في توريد مرتب المدينة إلى شونتها وإيصال ما خص أهالي المدينة من المال المذكور إلى يد سعادة شيخ الحرم المدني بالمدينة ولما وصلت إلى ينبع بعد ٢٤ س وجدت شونة الميري أوسع وأمتن من شونة جدَّة وأن الوابور يرسي على بعد ١٥٠ مترًا من الرصيف وأجرة نقل الأردب الواحد من الوابور إلى الشونة قرش واحد والقرش المصري سبعون فضة ومرتب المدينة تستلمه من الشونة التجار الموكلون عن أهالي المدينة وقد اشتروا أغلبه من أصحابه ليبيعوه لخلافهم ويرسلوه إلى المدينة شيئًا فشيئًا وينبع مشهورة بكثرة الذباب لعفونات من عدم المراحيض بالمنازل فأما أهاليها من نساء ورجال فيتبرزون بالأزقة وعلى شاطئ البحر ووجدت العساكر مجتهدة في بناء سور للبلدة

(١) قومسيون: مراقب الميزان.

طوله ثلاثة آلاف ذراع تحفظًا من هجوم الأعراب الأغراب وتسهيلًا للهجوم على المعتدين منهم وصيانة للذخائر ولم يمكني التوجه إلى المدينة لانقطاع الطَّريق من ابن حذيفة حتى أن قافلة منتظرة للتوجه إليها من مدة بالصفراء وكذا ابن عاصم قاطع لطريق جدَّة ووجدت كتابًا من سعادة شيخ الحرم النَّبوي يأمرني فيه بتسليم المال الذي معي إلى الأمين المتعين من طرفه لاستلام القمح بينبع لانقطاع الطَّريق فسلمته ذلك بالسند اللازم وعدت إلى جدَّة في مركب شراع تسمَّى سنبوك [١] لعدم وجود وابورات ولا أقدر على شرح ما تم لي من عدم الرَّاحة وكثرة المشقات والخوف من الأشعاب وتلاعب الرياح وقد انكسر في هذا الشَّهر أربع مراكب بالأشعاب التي بين جدَّة وينبع ووصلت إلى جدَّة في أربعة أيام وحمدت المولى العلام والسير كان نهارًا فقط على حسب الريح وكان المركب يرسي بالقرب من البر قبل الغروب بساعة وكانت الحمى متسلطنة في هذا الطقس بتلك البلاد ويتداوون منها بالملح الإنكليزي شربة وبسلفات الكينا تعاطيًا وهيهات أن يكتسبوا الصحة كما ينبغي، ثم توجَّهت إلى مكَّة وصادف قدومي ليلة الأربعين من وفاة والدة سعادة الوالي وكان بمنزله بعد العشاء ازدحام من الذوات والأمراء والفقهاء وناولوا كلا ممن حضر جزءًا من القرآن والشموع أمامهم وبعد التلاوة وختموا القراءة وشربوا الشربات ووضع أمام كل واحد طبق مملوء بالحلواء [٢] الجافة فأخذ كل ما بطبقه في منديله وتوجه به إلى منزله بعد أخذ خاطر صاحب المنزل كما هي العادة عندهم وقد اجتمعت في مكَّة ببعض من الذوات والشرفاء والسادة والأعيان.[٣]

(١) سنبوك: تصغير سنبك وهو القارب البحري.

(٢) الحلواء: الحلوى.

(٣) الأعيان: تعني أكابر القوم.

حادثة قتل الخياط

وفي يوم الجمعة ١٥ جا بعد الغروب وجدت ازدحامًا حول تابوت فيه شاب قتيل محمول إلى سعادة شريف مكَّة لكونه هو حاكم البلد وكان هذا القتيل خياطًا وكان قد حصل بينه وبين قهوجي [١] بأسفل بيته مشاجرة بسبب شرب الحشيش وتشكى إلى الأمير وبعد أيام قليلة وجدوه مكتوفًا مخنوقًا بجانب حماره بحاصل في منزله وبالبحث مع ضرب القهوجي اتهم ثلاثة أشخاص مشتركين في الجناية فحبسوا ودفن القتيل في صباح ثاني يوم وفي ١٧ عدت إلى جدَّة وفي ١٩ تقابلت مع قائممقام الولاية بها الجديد لحضوره أمس من الحديدة وكان حاكمًا ببلدة بيت الفقيه ورتبته أمير الأمراء المضاهية لرتبة القائممقام الجهادي [٢] وفي غرة ج سنة ١٣٠٣ ٦ مارث [٣] سنة ٨٦ ركبت وابور البحر ووصلت إلى السُّويس ثم وصلت إلى مصر ثاني يوم وقدمت أوراق مأموريتي إلى الماليَّة حسب الأصول والطَّريقة الحسنة في تسلم قمح صدقتي مكَّة والمدينة هي أن يصير توريد مرتب أهالي مكَّة بجدَّة ويباع منه جانب لدفع أجرة المشال إلى مكَّة ويساق شيئًا فشيئًا إلى التكيَّة المصريَّة ثم يوزع أولًا فأولًا على حسب الدفتر بمعرفة المأمور المعين من مصر حيث إن متوظفي التكيَّة يمكنهم القيام بهذا التوزيع بدون وضعه في شون الميري واحتساب ماهيات خدمتها على أصحاب المرتبات بدون اقتضاء لكن يلزمهم أن يكونوا منقادين للمأمور في الصرف وتحقيق صحة وجود أصحاب المرتبات وعدمه بحسب دفتر الأسماء المحضر معنا من غير تداخلهم في الأخذ والإعطاء وإن وجد محلول فبمعرفة المأمور يعطي للمستحقين من الفقراء بعد أخذ الشهادة اللازمة ويلاحظ حركة

(١) قهوجي: عامل المقهى.

(٢) الجهادي: العسكري.

(٣) مارث: شهر مارس.

التكيَّة لأن أهميَّة ذلك من جملة الإصلاحات الخيريَّة ويلزم أن يكون المأمور ذا رتبة مؤتمنًا خبيرًا بأحوال تلك الجهات مرفوعًا عند الأعيان ليتيسر له التسهيل والتشهيل في التسليم والتسلم والمثال لأن ذلك يحتاج إلى همة زائدة ويمكن صرف أغلب المرتبات بجدَّة لوكلاء أصحابها وللتجار الذين اشتروا أغلب حصصهم والباقي يصرف لهم بالتكيَّة وكذا حصة المدينة تصرف بينبع للوكلاء كما شاهدنا ذلك وتوريد المرتب قمحًا فيه منفعة عظيمة لسكان مكَّة والمدينة بتنازل الأسعار إلا أن التجار تحوزه وتكتسب منه مبالغ جسيمة وأما الأوفر للحكومة فهو توريده دراهم بدلًا عن القمح كما حصل سابقًا وإنما يلزم الحكومة المخابرة مع سعادة والي الحجاز مقدمًا في ذلك بإرسال مأمور التسليم والتسليم وأن تنتظر الاتفاق على ذلك تلغرافيًّا فإن كان قمحًا استلمه المأمور بجدَّة وصرفه بمعرفته كما ذكرنا وإن كان نقدًا أرسل إلى المأمور بواسطة البوسطة الخديويَّة وبعد استلامه لذلك يفرقه بمعرفته على حسب الدفتر ويلزم الحكومة مراعاة المندوب من جهة مصاريفه ومكافأته احترامًا وشرفًا للحكومة الخديويَّة وإرسال بعض الهدايا اللائقة لبعض من المتوظفين هناك على حسب درجاتهم لتحصل الممنونيَّة للجميع وحسن الالتفات للمندوب إذ الدرهم هو مركز دائرة السلوك بين الأمير والصعلوك كما شاهدته في تلك الجهات.

والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

obeikandi.com

خاتمة المصحح

(يقول خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة العامة ببولاق مصر القاهرة الفقير إلى الله تعالى محمَّد الحسيني أعانه الله على أداء واجبه الكفائي والعيني):

بحمد ذي الجلال والإكرام الذي فضل على سائر الأماكن بيته الحرام وحث على أداء المناسك وأعد جزيل الأجر لمن حل بتلك المعاهد وارتوى من زمزم والتزم الملتزم واستلم الحجر الأسود والركن والمقام، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد أفضل من نج وحج ولبى وصلى وصام وعلى آله الناسكين نسكه المقتفين أثره وأصحابه الكرام البررة (أما بعد) فقد تم طبع هذه الرِّسالة الوافية البيان الصافية المورد والمنهل الحافلة الكافلة ببيان المنازل من مصر إلى مكَّة المشرفة والمدينة المنوَّرة على أتم وجه وأكمل السالكة بقارئها من فجاج تلك الديار كل فج وهي المسمَّاة (كوكب الحج) تصف لك هاتيك المنازل والأماكن فلا تكاد تحتاج في معرفتها عند مرورك عليها إلى مُعرِّف ولا دليل وتعرفك قبائل العرب الحجازيَّة وفصائلها وأخلاق بعضها ومساكنها على وجه جميل مهذبة المباني محررة المعاني نميقة بنان الصنع الذي لا يقدر قدره ذكاء ونبلًا وبنت فكر الهمام الذي لا يدرك شأوه رقة وفضلًا الملحوظ بعين عناية مولاه الخالق حضرة محمَّد باشا صادق (على ذمة حضرته حفظه الله ومن كل سوء وقاه) في ظل الحضرة الخديويَّة والطلعة الداوريَّة حضرة من عم رعاياه بإحسانه وفضله وأنامهم في ظلال أمنه وعدله الذي هو بجميل الثناء عليه بكل لسان حقيق أفندينا محمَّد باشا توفيق أدام الله علينا أيامه ووالى علينا إنعامه وحفظ أنجاله الكرام وجعلهم غرة في جبين الليالي والأيام وأدام لنا خيره مدى الأعوام وكان تمام طبعه وبدو زهره وينعه في أوائل ذي القعدة الحرام

من عام ثلاث بعد ثلاثمائة وألف من هجرته عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام وعلى آله وصحبه البررة الكرام.

obeikandl.com

يوميات الرِّحلة (كوكب الحج) من ٢١ ذي القعدة ١٣٠٢هـ إلى ١٦ صفر ١٣٠٣هـ

	اليوم	التَّاريخ الهجري	التَّاريخ الميلادي	النشاط
٢١ ذي القعدة ١٣٠٢هـ	الثُّلاثاء	٢١ ذي القعدة ١٣٠٢	١ سبتمبر ١٨٨٥	استلام الصرة
	الأربعاء	٢٢	٢	استلام ماليَّة المحمل
ئ	الخميس	٢٣	٣	موكب المحمل بحضور الخديوي محمَّد توفيق
	الجمعة	٢٤	٤	الوصول للسويس
	السَّبت	٢٥	٥	الإبحار إلى جدَّة
	الأحد	٢٦	٦	إبحار
	الاثنين	٢٧	٧	إبحار
	الثُّلاثاء	٢٨	٨	محاذاة رابغ – إحرام
	الأربعاء	٢٩	٩	دخول جدَّة
	الخميس	١ ذي الحجَّة ١٣٠٢	١٠ سبتمبر ١٨٨٥	إحضار الجمال اللازمة لمشال المحمل
	الجمعة	٢	١١	السير في اتجاه مكَّة
	السَّبت	٣	١٢	في الطَّريق لمكَّة
	الأحد	٤	١٣	الوصول إلى مكَّة
	الاثنين	٥	١٤	مقابلة عثمان باشا نوري
	الثُّلاثاء	٦	١٥	مقابلة الوالي

obeikandl.com

	اليوم	التَّاريخ الهجري	التَّاريخ الميلادي	النشاط
	الأربعاء	٧	١٦	شريف مكَّة في ملاقاة المحمل الشامي
	الخميس	٨	١٧	الوصول إلى منى
	الجمعة	٩	١٨	طلوع جبل الرحمة
	السَّبت	١٠	١٩	المحملان المصري والشامي وإلى المشعر الحرام
	الأحد	١١	٢٠	أول أيام العيد
١٢ ذي الحجَّة ١٣٠٢هـ	الاثنين	١٢	٢١	مقابلة الشَّريف للتهنئة بالعيد
	الثُّلاثاء	١٣	٢٢	البقاء في منى
	الأربعاء	١٤	٢٣	صرف مرتبات التكيَّة
	الخميس	١٥	٢٤	البقاء في منى
	الجمعة	١٦	٢٥	البقاء في منى
	السَّبت	١٧	٢٦	في مكَّة
	الأحد	١٨	٢٧	احتفالات
	الاثنين	١٩	٢٨	احتفالات
	الثُّلاثاء	٢٠	٢٩	زيارة الشَّريف
	الأربعاء	٢١	٣٠	صرف مرتبات
١ أكتوبر ١٨٨٥م	الخميس	٢٢	١ أكتوبر ١٨٨٥م	صرف مرتبات
	الجمعة	٢٣	٢	صرف مرتبات
	السَّبت	٢٤	٣	في مكَّة

obeikandl.com

	اليوم	التَّاريخ الهجري	التَّاريخ الميلادي	النشاط
	الأحد	٢٥	٤	في مكَّة
	الاثنين	٢٦	٥	في مكَّة
	الثُّلاثاء	٢٧	٦	في مكَّة
	الأربعاء	٢٨	٧	في مكَّة
	الخميس	٢٩	٨	في مكَّة
	الجمعة	٣٠	٩	في مكَّة
١ محرم ١٣٠٣هـ	السَّبت	١ محرم ١٣٠٣هـ	١٠	الاستعداد للسَّفر
	الأحد	٢	١١	السَّفر في اتجاه المدينة
	الاثنين	٣	١٢	في الطَّريق إلى المدينة
	الثُّلاثاء	٤	١٣	في الطَّريق إلى المدينة
	الأربعاء	٥	١٤	في الطَّريق إلى المدينة
	الخميس	٦	١٥	في الطَّريق إلى المدينة
	الجمعة	٧	١٦	في الطَّريق إلى المدينة
	السَّبت	٨	١٧	في الطَّريق إلى المدينة
	الأحد	٩	١٨	في الطَّريق إلى المدينة
	الاثنين	١٠	١٩	في الطَّريق إلى المدينة
	الثُّلاثاء	١١	٢٠	في الطَّريق إلى المدينة
	الأربعاء	١٢	٢١	في الطَّريق إلى المدينة
	الخميس	١٣	٢٢	في الطَّريق إلى المدينة
	الجمعة	١٤	٢٣	في الطَّريق إلى المدينة
	السَّبت	١٥	٢٤	في الطَّريق إلى المدينة

obeikandl.com

	اليوم	التَّاريخ الهجري	التَّاريخ الميلادي	النشاط
	الأحد	١٦	٢٥	دخول المدينة
	الاثنين	١٧	٢٦	زيارة المسجد النَّبوي
	الثُّلاثاء	١٨	٢٧	زيارة المسجد النَّبوي
	الأربعاء	١٩	٢٨	صرف المرتبات
	الخميس	٢٠	٢٩	صرف المرتبات
	الجمعة	٢١	٣٠	الصَّلاة في الحرم النَّبوي
١ نوفمبر ١٨٨٥م	السَّبت	٢٢	١ نوفمبر ١٨٨٥م	البقاء في الحرم
	الأحد	٢٣	٢	الخروج من الحرم في طريق العودة
٢٤ محرم ١٣٠٣هـ	الاثنين	٢٤	٣	مواصلة السير في طريق الوجه
	الثُّلاثاء	٢٥	٤	المبيت في محطَّة الضعيني
	الأربعاء	٢٦	٥	مواصلة السير والنزول بمحطَّة المليح
	الخميس	٢٧	٦	مواصلة السير والنزول بمحطَّة السجوة
	الجمعة	٢٨	٧	وفاة زوجة محمَّد صادق باشا
	السَّبت	٢٩	٨	مواصلة السير والنزول بالحفائر
١ صفر ١٣٠٣هـ	الأحد	١ صفر ١٣٠٣هـ	٩ نوفمبر ١٨٨٥م	مواصلة السير والنزول بمحطَّة الفقير
	الاثنين	٢	١٠	مواصلة السير والنزول بمحطَّة العقلة

obeikandl.com

	اليوم	التَّاريخ الهجري	التَّاريخ الميلادي	النشاط
	الثُّلاثاء	٣	١١	مواصلة السير والمبيت بمحطَّة العقلة
	الأربعاء	٤	١٢	مواصلة السير والنزول بمحطَّة الحوثلة
	الخميس	٥	١٣	مواصلة السير والنزول بمحطَّة الحوثلة
	الجمعة	٦	١٤	استراحة
	السَّبت	٧	١٥	مواصلة السير في طريق مينة الوجه
	الأحد	٨ صفر ١٣٠٣هـ	١٦	الوصول لمينة الوجه
٩ صفر ١٣٠٣هـ	الاثنين	٩	١٧	ركوب البحر في اتجاه الطور
٩ صفر ١٣٠٣هـ	الثُّلاثاء	١٠	١٨	ركوب البحر في اتجاه الطور
	الأربعاء	١١	١٩	مواصلة الإبحار
	الخميس	١٢	٢٠	الوصول للكرنتينة في الطور
	الجمعة	١٣	٢١	ركوب البحر في اتجاه السُّويس
	السَّبت	١٤	٢٢	الوصول لمينة السُّويس
	الأحد	١٥	٢٣	الطواف في شوارع السُّويس.
١٦ صفر ١٣٠٣هـ	الاثنين	١٦	٢٤	الوصول للعبَّاسيَّة والاحتفال بعودة المحمل

obeikandl.com